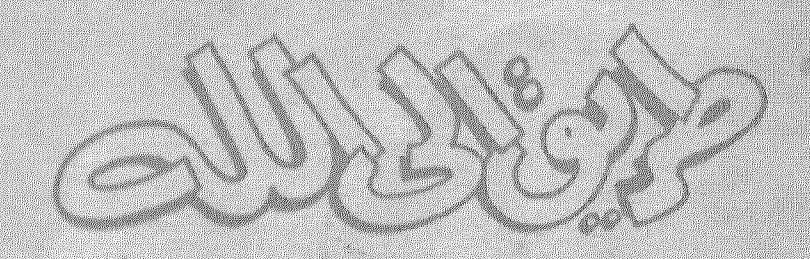
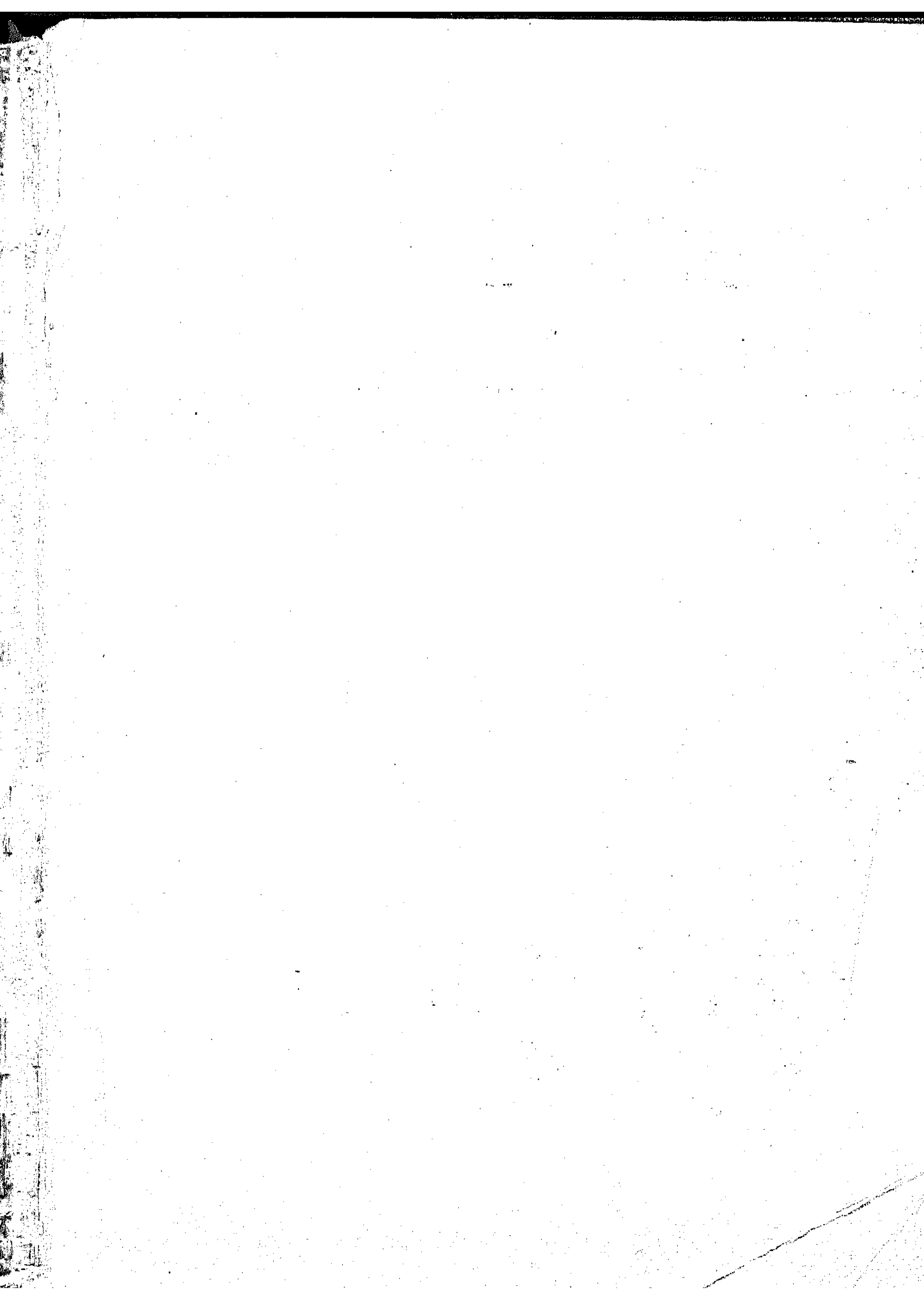




...الرزاق نوفل

الناشر
مؤسسة الخانجي



طريق إلى السماء

تأليف

عبد الرزاق نوفل

[الطبعة الأولى]
رمضان ١٣٨١
فبراير ١٩٦٢

الناشر
مؤسسة الخانجي بالقاهرة

دعـــاء

يارب ... سبحانك ..

خلقتني ولم أكن قبل الخلق شيئاً مذكورا...

ووهبتني كل ما جعل الحياة أمرا ميسورا

سمعا وبصرا وفؤادا وغير ذلك فضلا كثيرا

وهديتني إلى طريقك بمن أرسلته للناس سراجا منيرا

محمداً بن عبد الله بشيرا ونذيرا

وأخطأت وأذنبت رغم ذلك أمدا طويلا...

ثم تذكرت وتبت إليك بمشيئتك توبة نصوحا

وها أنا أقف ببابك باكياً نادما مستغفرا ربا غفورا

متضرعا سائلا فضلك إن فضلك كان عظيما .

اللهم فلا تردني وكل من يقف معي عن بابك خائبا حسيرا

وألحقنا بالصالحين الذين يسبحون بحمدك سبحاً طويلا

واكتب لنا من لدنك رحمة ، فمن غيرك يارب رحمانا رحيما.

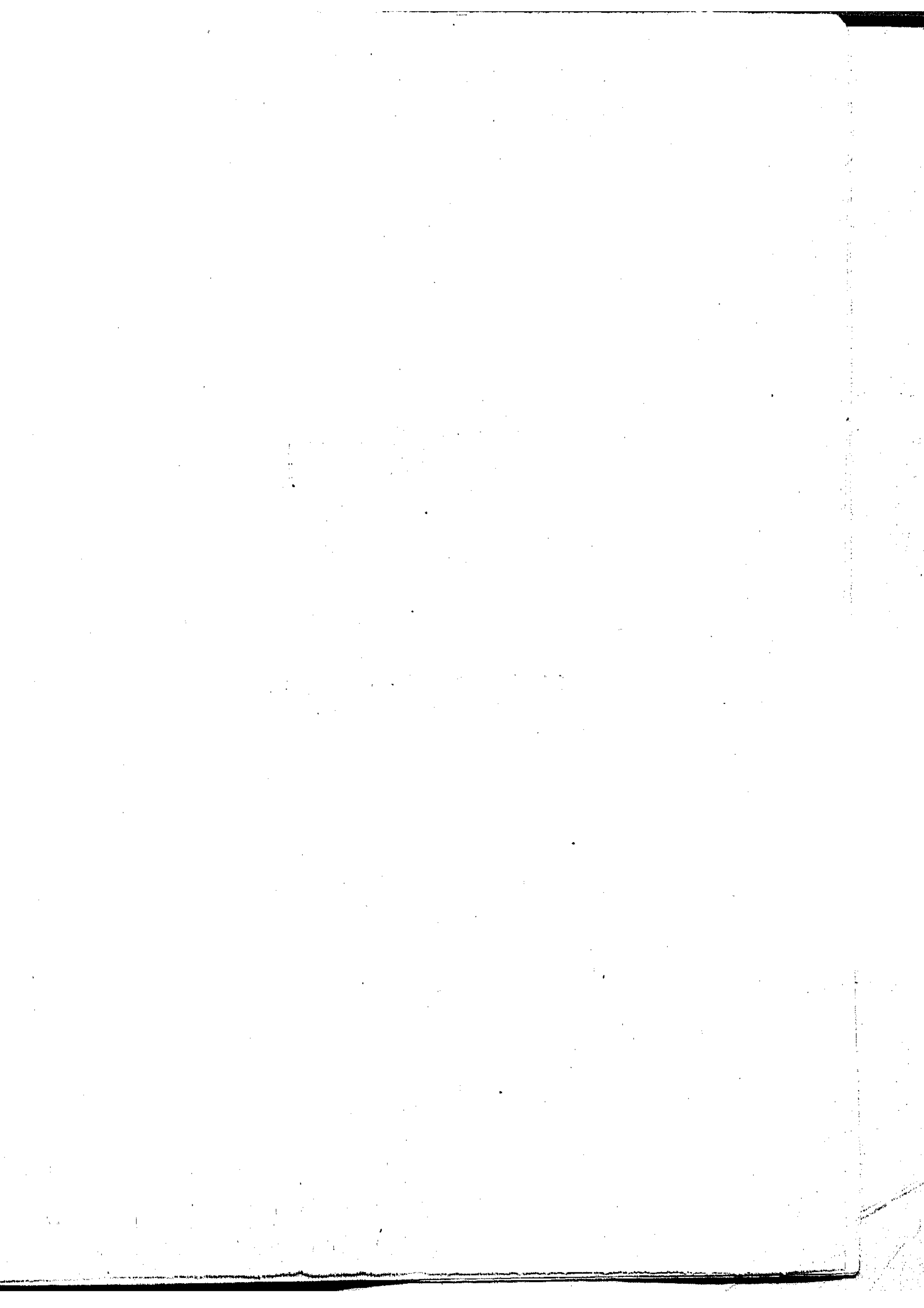
يا رب ... سبحانك . . !

إهداء

إليك أنت يا أخى فى الله

أهديك طريقاً إلى الله

لعله يشفع لى ويشهد لك يوم الله



مقدمة المؤلف

﴿ ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ ﴾ .

« قرآن كريم » ١٢٥ سورة النحل

الحمد لله له فى كل شىء آية تدل على أنه الواحد القدير ، وأعطى كل ما خلقه ما يؤكد أنه اللطيف الخبير ، وتشمل رحمته عباده بما يثبت أنه الغفور الكريم ، يرزقهم ويرعاهم فإذا ضلوا أرسل لهم الرسل والأنبياء يهدونهم طريقه ... أليس الله بذلك هو الرحمن الرحيم ؟ . . . سبحانه ..

وإن أى إنسان إذا ما تفكر فى هذا الكون ألا يجد أن كل ما فيه إنما يشير إليه ؟ . وأن الأمر كله منه وإليه ؟ ... لا شريك له ... له الخلق وله الأمر ... سبحانه ..

وإذا ما تدبر الإنسان أمر نفسه ألا يعجب من شأنه ؟ ..

فإن حياته مهما طالت فإنها إلى نهاية ، وكائنا لم يفر منها من يوم أن قامت الدنيا وبدأت الحياة .. فأين الرسل والأنبياء ؟ وأين القادة والعظماء ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ فالشيء المؤكد فى حياة الإنسان هو نهايته .. وهكذا شاءت إرادة الله واقتضت حكمته ... سبحانه ..

وإذا كان الإنسان فى حياته المؤكدة نهايتها يحرص على أن يوفر لنفسه فيها مختلف وسائل عيشه بكل الطرق .. فكيف به لحياته الأخرى الثابت دوامها وإلى أى قدر يجب السعى لأن يوفر لنفسه فيها أسباب عيشه ووسائل حياته ؟ .. ومن رحمة الله بالإنسان أنه لم يتركه وشأنه ليتعرف إلى قدر الحياة الثانية بالنسبة للأولى عن طريق الحدس أو التخمين بل أوضحها له فى كتبه المنزلة وقرر الطريق الذى لا يضل فيه الإنسان والعمل الذى يوفر له فيها أسباب الحياة والهناء فما أجل رحمته ... سبحانه ..

لاشك فى وجود الله ... ولا شك فى حياة قريبة باقية بعد حياتنا هذه الفانية ... ولا شك فى لقاء الله ... سبحانه ..

فإذا كنا جميعاً نسير ... وخطانا سريعة ... بل وسريعة جداً إلى لقاء الله .. فهل أعددنا مقتضيات هذا اللقاء ؟ ..

إن الحين لا يعرف . . وإن الوقت لا يعلم . . وإن الأمر لم يعـد يحتمل إلا أن نعمل . . . نعمل للآخرة على قدرها . . وما أيسر العمل لها . . وما أسهل الطريق لاكتسابها ! . .

لذلك فإنى أقدم كتابى هذا « طريق إلى الله » الذى وفقنى الله سبحانه إليه إلى كل قارئ أينما كان .. وأدعو الله أن يتقبله كل من يقرؤه ويعمل به فهو يثبت أن الله حق وأن ما نسميه موتا إن هو إلا تطور وانتقال من حياة فانية إلى حياة باقية ، وأن الحياة متواصلة بلا انقطاع وأن كل قول وعمل ، إنما هو محفوظ على الإنسان وملازم له ومحاسب عليه .. وإذا كان ديننا الحنيف قد قرر ذلك فى القرآن الكريم والحديث الشريف فإن العلم الحديث فى آخر ماوصل إليه من حقائق قد كشف عن بعض ما جاء به الإسلام ، فاتفق الدين والعلم فى هذه الحقائق الثابتة .

فلتكن هذه تذكرة .. ولنتذكر بها أن ما مر من العمر مهما كان فهو كثير ، وما فعلناه لآخرتنا فيه فهو قليل ، ولنبدأ العمل من أجل الحياة الباقية لنستقبلها بالنفس الراضية ؛ وما أسهل العمل للآخرة قبل أن تنقطع بنا أسبابه ! وما أيسر

الطريق إلى الله وما أقربنا من بابه لو عملنا على أن نكون من أحبابه ... سبحانه ..

أسأل الله أن يجزل ثوابى وثواب من قرأ وعمل .. وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه سبحانه وتعالى وأن يجنبنا به أى ضيق ويخفف عنا به مشقة الطريق .: الطريق الذى لابد سنسير فيه يوماً منفردين متجردين إلا مما عملته أيدينا ونطقت به ألسنتنا واقترفته جوارحنا .

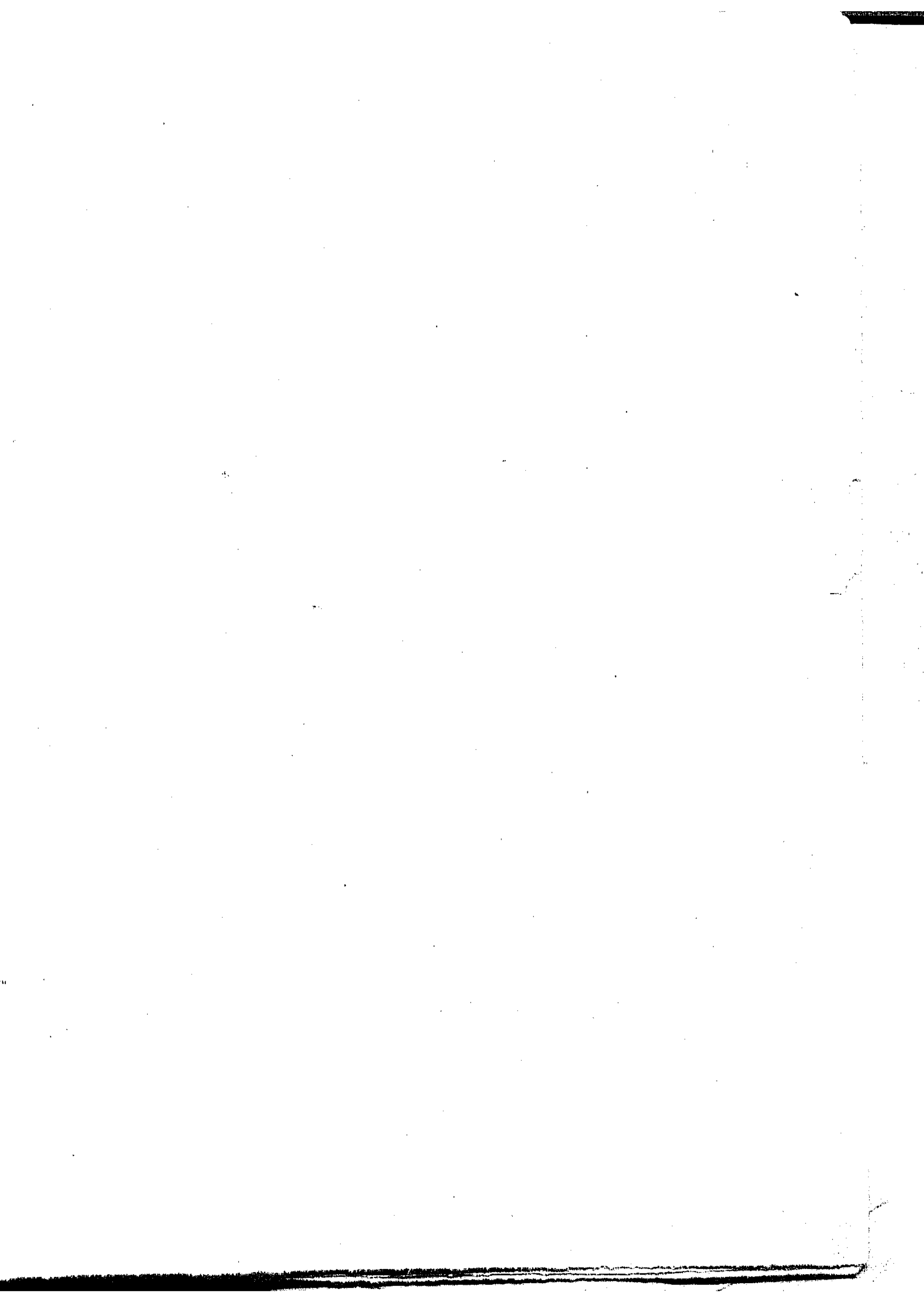
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ .

« قرآن كريم » ٣٠ سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

« صدق الله العظيم »



الحقيقة الكبرى

هذا الوجود الذى نعيش فيه !!

أى حكمة تنطق بها كلماته ؟ ...

وأى حقيقة تشير إليها آياته ؟ ..

إن كلمات الوجود وآياته إنما تؤكد الحقيقة ..!! وأى حقيقة !!

إنها تدل على الحقيقة الكبرى ...

لم يصل العلم بعد إلى معرفة عدد وحدات هذا الوجود وكل ما وصل إليه العلماء هو التأكيد بأنه مهما تقدمت العلوم ومهما استحدثت وسائل البحث وأجهزة الكشف فإن العلم لن يصل إلى ذلك على سبيل القطع . فعدد النجوم والكواكب أمر يستحيل على العلم أن يصل إلى حقيقته لأنه فوق الإدراك وأكثر مما يتخيله أى عقل حتما . ففى كل مرة يصل العلم عن طريق أجهزة أكثر دقة وأشد حساسية وأبعد رصدا إلى عدد جديد يفوق سابقه زيادة لم تكن متوقعة ومازال العلم يوالى أبحاثه فى استحداث وسائل جديدة للرصد ويقول عن عدد النجوم حجة الفلك العالمى السير جيمس جينز فى كتابه (الكون الغامض) « ربما كان مجموع عدد النجوم التى فى الكون قريبا من مجموع عدد حبيبات الرمل التى

تغطى شواطئ البحار فى العالم كله » . ويقول كذلك فى كتابه (النجوم فى مسالكها) « يكاد يكون من المؤكد أن هناك أكثر من ٦٠ نجما مقابل كل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض وقد يصل العدد إلى ضعف هذا بل ربما إلى ثلاثة أضعاف أوخمسة أمثاله » ثم يضرب مثلا لعدد النجوم فيقول « يجب أن نتصور مكتبة ضخمة تحوى على الأقل نصف مليون كتاب من الحجم المتوسط فجميع حروف الطبع التى فى جميع صحف كل كتب هذه المكتبة عددها مساو تقريباً لعدد نجوم السماء ، وإذا كنا نطالع بسرعة صفحة فى الدقيقة مدة ثمان ساعات فى كل يوم فلابد لنا من ٧٠٠ سنة لقراءة هذه المكتبة ، كذلك لوكنا نعد النجوم بسرعة ١٥٠٠ نجم فى الدقيقة لاستغرق عدنا النجوم كلها ٧٠٠ سنة ، أما الأرض التى نعيش عليها فهى أقل — أقل كثيراً جداً — من نقطة على حرف فى مكتبتنا ذات نصف مليون مجلد ، أو على الأصح يجب أن نشبهها بهباءة من التراب بين صفحتين ، أى صفحتين فى أى كتاب من هذه الكتب فى هذه المكتبة » .

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للنجوم وهى شموس تبلغ درجة حرارتها عشرات الملايين من الدرجات التى يقيسها الإنسان بأجهزته فكيف يكون الحال بالنسبة لعدد الكواكب

إذا ما عرفنا أن شمسنا هى واحدة من هذه النجوم وأرضنا أحد الكواكب التسعة التى تكون مجموعة الشمس وتدور حولها ، فإذا كان كل نجم ليس له سوى تسعة كواكب كما للشمس فقط فيا ترى كم يكون عدد الكواكب ؟ .. وكم يكون عدد الكواكب والنجوم ؟ ..

أما أحجام هذه الكواكب والنجوم فلا يمكن توضيحها إلا بالمقارنة مع الأرض إذ يبلغ حجم الواحدة من معظمها قدر الأرض آلاف المرات فى بعضها وملايين المرات فى البعض الآخر وملايين الملايين فى أكثرها فإن من النجوم أكثرية مطلقة يبلغ حجم الواحدة منها حجم عدة ملايين من الأرض وما يزال يتسع لملايين أخرى .

هذه النجوم والكواكب على كثرتها التى تفوق الحصر وبأحجامها التى تزيد على أى تصور تعتبر وكأنها ذرات من رمل ألقيت فى مكان فسيح ، وبين كل ذرة وأخرى مسيرة أيام وليالى فيقول فى ذلك جيمس جينز « وهذا الجمع الحاشد من النجوم يسبح فى كون متسع الأرجاء اتساعا يجعل اقتراب نجم من نجم آخر فى أى مكان حادثا نادراً يصعب تصور حدوثه ، ولهذا نرى كلا منها يسبح منفرداً فى عظمة وجلال كأنه سفينة تسبح فى محيط لاتشاركها فيه سواها .

وإذا مثلنا الكون بنموذج ذى مقياس رسم معين تعرض فيه النجوم بحجم السفن كان متوسط المسافة بين كل سفينة وأقرب جارة لها يزيد على مليون من الأميال ولهذا يسهل علينا أن نعرف لماذا يندر أن تلتقى سفينة بأخرى على مسافة تستطيعان منها أن تتبادلا التحية » .

فيا ترى كم يكون حجم هذا الكون الذى يضم هذه الأعداد من النجوم والكواكب والتى تبلغ هذه الأحجام وبينها وبين بعضها البعض مثل هذه المسافات ؟ هل يكون ذلك فى استطاعة أى عقل أن يتخيله ؟ . . لقد أمكن للعلماء أن يقفوا على حقيقة فى حجم الكون وهى أن الكون يتسع اتساعاً لا يخطر على بال وأنه وهو ينتشر متباعدة وحداته عن بعضها تتكون مجرات جديدة تحتوى على وحدات جديدة وعديدة عن طريق تكاثف المادة التى تتخلف من انتشاره فى الفراغات الواقعة بين وحداته ، ويقول العلماء إن من ضمن الحقائق التى وصلوا إليها تلك التى تقول إنه ليس هناك أى احتمال يشير إلى وقف اتساع الكون وانتشاره إلا إذا كانت نهاية الكون قد حانت .

وإن دراسة إشعاعات النجوم قد ألقت ببعض الأضواء على بعض وحدات هذا الكون ومركزها فى الوجود فقد

توصل العلم إلى معرفة أن الضوء يسير بسرعة ١٨٦ ألف ميل فى كل ثانية وقد اختار الفلكيون السنة الضوئية التى تتكون من ٣٦٥ يوماً فى كل يوم ٢٤ ساعة وفى الساعة ٦٠ دقيقة وفى الدقيقة ٦٠ ثانية وفى الثانية ١٨٦ ألف ميل لقياس أبعاد النجوم فإذا وصل إلينا ضوء نجم بعد ثانية واحدة كان بعده عنا ١٨٦ ألف ميل وقد وجد أن السدم التى ترصد أضواؤها على الأرض تنطوى معها حقيقة هى أنها تبتعد عن الأرض بسرعات تتناسب مع أبعاد المسافات التى بينها وبين الأرض وأن آخر ما رصد من السدم الحلزونية فى مرصد جبل ولسن وجد أنه يبتعد عن الأرض بسرعة هائلة تبلغ ١٥ ألف ميل فى الثانية .. فمتى بدأ فى حركته ؟ .وإلى أين ينتهى ؟ .. ومتى يقف .. ؟ ... وإن أقرب سديم إلى الأرض والذى يعرف باسم م ٣٣ يصل إلينا ضوؤه بعد ٨٥٠ ألف سنة ضوئية أى بمقدار من الأميال يصعب كتابته وإذا كتب فلا يمكن النطق به أما السديم ٨١٢ وهو فى الدب الأكبر وهو من أجمل ما فى الفضاء من مدن نجومية فإن ضوءه يستغرق فى الوصول إلينا مليون وستمائة وألف سنة ضوئية .. فعلى أى بعد يقع ؟ .. وأين أصبح الآن ؟ ..

وتعتبر هذه الأرقام لوحدات فى بداية الكون فقد أظهرت بحوث العلماء أن هناك من السدم مالا تستطيع

المجاهر — أى مجاهر وأقواها — أن تتبين إشعاعها ولكن تسجلها لوحة التصوير الضوئى ووجد أنها على بعد ٢٤٠ مليون سنة ضوئية ... ومازلنا رغم ذلك فى أول الطريق أو كما يقول جيمس جينز (ان الجزء الأكبر من قصة الوجود لايزال ينتظر من يرويه) .... ومازال الكون ممعنا فى الزيادة المستمرة مستمراً فى النمو العظيم .. متواصلا فى الاتساع العجيب ..!!

ويوجد فى الفضاء غير النجوم والكواكب النيازك التى يقال إنها بقايا سيارات تفتتت بطريقة أو أخرى ولسبب أو غيره ، ومن هذه الأقوال آراء تقرر أنها نتيجة إجراء عنيف استلزمه حرب بين سكان الكواكب الأخرى !! وتسير النيازك بسرعة تعادل خمسين ضعف سرعة انطلاق الرصاصة وأقل كتلة صخرية منها فى حجم أكبر مبنى يمكن تخيله ، وقد سقطت شظية بولاية اريزونا فسببت حفرة قطرها نحوا من ٤٢٠٠ قدم ، وهناك نيازك من نوع هش تصدم الأرض بانتظام وفى مواعيد ثابتة وأخرى بدون موعد وكذلك غير النيازك توجد المذنبات وهى أعجب أعضاء المجموعة الشمسية ، إذ تتجه أذيالها دائماً فى الاتجاه المضاد للشمس وتتفكك بعضها إلى شظايا والبعض يتلاشى وغيرها

ترتد بسرعة إلى الفضاء حيث تختفى فى أعماق المجهول ..!!

ومن ضمن ما وصل إليه العلم من حقائق فى الكون أنه لما أثبت العلم أن أشعة الضوء التى تعبر الفضاء تتشتت وهذا لا يمكن أن يتم إذا كان الفضاء فراغا وبذلك قدر العلماء احتمال وجود مادة لطيفة منتشرة فى رحاب الفضاء بين النجوم ، ثم توالت الأبحاث والدراسات إلى أن أعلن ادنجتون أن الفضاء بين النجوم ليس فراغاً بل هو ممتلئ مادة وأنه لا توجد أية ناحية فى الفضاء فى أى مكان منه خالية من المادة . وقد كانت هذه المادة موضع دراسة العلماء لمدد طويلة ، فلما شاهدوا ما أسموه (خطوط ما بين النجوم) أو (خطوط الفضاء النجمى) وأمكن تحليل طيف هذه الخطوط اتضح أن هذه المادة تحتوى على جميع العناصر الأرضية ولكن على أى صورة ؟ .. إن الخطوط اختلفت لتؤكد أنها ليست ذرات كما أنها ليست جزيئات . وما زال العلم يجد ويبحث الوقوف على سر هذه المادة وتكوينها وأسبابها ونتائجها ، ولقد اختلفت تسميات هذه المادة التى تملأ فراغ الكون فأطلق عليها لفظ (الأثير) وقيل إنها (الحيز الكونى الزمنى المستمر) وتقول أحدث الآراء العلمية إن كمية المادة الموزعة فى فضاء ما بين النجوم تعادل كمية المادة

التى تتكون منها جميع النجوم . وإن فى هذا الفضاء ذرات منفردة متباعدة معظمها من غاز الايدروچين . وإذا سأل سائل ألا تنتهى هذه الذرات بتكوينها السدم والنجوم ؟ رد العلم قائلا إن ذرات الايدروچين تُخلق على الدوام فى أعماق الفضاء البارد بين المجموعات النجمية وهى تأتى بطريقة مجهولة من مستوى مجهول من مستويات الوجود .. الوجود العجيب.. ! !

لقد قرر العلم أن هذه الوحدات كانت سديما وانفجر فى وقت معين فى القدم ، والسديم إنما هو دخان فأى كميات من الدخان كونت هذا الكون بما فيه ؟ .. وكيف تكون هذا الدخان ؟ . ! فإذا كان تكون من غير مادته .. فماذا كان قبل ذلك ؟ .. وعلى أى صورة ؟ .. وهناك من يقول إن النجوم تفنى عن طريق الإشعاع وأن هذا الإشعاع يعود فيتجمد إلى مادة فى مكان ما فى أعماق الفضاء السحيق وأنه يكون سماء جديدة وأراضى جديدة . ولكن كيف تكون النجم الأول .. إننا لو تتبعنا مجرى الزمن إلى الوراء لوجدنا أن هناك لحظة نشأ فيها أصل الوجود وأنه خلق خلقا .. ولقد كان خلق الكون من الموضوعات التى احتار العلماء فى فهمها أو إيجاد الحل لها فيقول جورج جاموف فى أحدث مؤلفاته عن الكون باسم (نشوء الكون) « إن كثيرين من العلماء يعتقدون أن الكون هو نتيجة

تطورات مستمرة بدأت فى مادة متجانسة شديدة الانضغاط وانفجرت منذ بضعة ملايين من السنين ويعتقد غيرهم أن الكون يكاد يكون كائنا على ما هو عليه منذ الأزل » ..
وسأل العلماء : هذه المادة المتجانسة كيف وجدت ؟ . . هل أوجدت نفسها بنفسها ؟ . وهذا ما لا يقبله العقل أو العلم أوالمنطق .. والضغط الذى وقع عليها ؟ . أليس الضغط إنما هو ناتج عن قوة .. فما مصدر هذه القوة ؟ .. أليس لكل قوة مصدر ؟ . . لقد اقترب جيمس جينز من الإجابة الصحيحة حين قال « لقد حدث ما يمكن أن يسمى خلقاً فى وقت ليس ببعيد بعداً لانهائياً » أما القول الحق فهو ما قاله القرآن الكريم فى مثل الآية الشريفة ﴿ قُل مَن رَّبُّ السَّماواتِ والأَرضِ قُلِ اللهُ قُل أفاتَّخَذتُم مِن دُونِهِ أَولِيَاءَ لَا يَمِلِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعاً وَلاَ ضَرًّا قُل هَل يَستَوِى الأَعمَى وَالبَصِيرُ أَم هَل تَستَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَم جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَىءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾ .

أما عمر هذا الوجود فإن الأبحاث التى أجريت عليه تزيد

من أسرار هذا الكون وتظهر عمق آياته وروعة أسراره ،
فقد استطاع مرصد جبل ولسن أن يرصد بأجهزته الحالية
السدم التى تبعد عنا بمقدار ٢٤٠ مليون سنة وتكون حالة
الرصد هى ماكانت عليه حالة السديم المرصود منذ ٢٤٠
مليون سنة وهى المسافة التى قطعها الضوء حتى وصل منه
إلينا عبر الفضاء وعلى ذلك فإن هذا السديم كان موجوداً
قبل هذه المدة يقينا ، ولما كانت هذه الأجرام البعيدة
لاتختلف فى حركاتها وأوصافها الأساسية عن أجرام أخرى
أقرب إلينا منها فيكون الكون لم يصبه بذلك تغيير يذكر
منذ ٢٤٠ مليون سنة على الأقل ، أى أن هذه المدة ليست
إلا فترة قصيرة فى حياة الوجود لم يتناوله فيها أى تغيير ، ولابد
بذلك أن يكون عمر الكون أضعاف أضعاف ذلك على سبيل
القطع والتأكيد . ولقد أمكن بتحليل الصخور المحتوية على
مواد مشعة أن يعرف العلماء المدة التى انقضت منذ تجمدت
تلك الصخور ، وقد أثبت العلم بذلك أن هناك صخوراً يرتد
تاريخ تجمدها إلى ١٧٥٠ مليون سنة ، فهل هناك صخور ترجع
إلى مدة قبل ذلك ؟ .. إن معدن الأدرانيت الذى وجد بكندا
يبلغ من العمر ١٩٨٥ مليون سنة تحديداً .. ولما كانت الأرض
لاتعتبر شيئاً إطلاقاً فى حلقات هذا الوجود فإنها جاءت

بعد أن وجد الكون بمدد يصعب التكهن بها لفرط كثرتها ولكنها لابد تتناسب مع وضع الأرض بالنسبة للوجود كله ، وهى كما رأينا هباءة جاءت فى آخر وقت دون أن يحس بها من يرصد وحدات هذا الوجود كله . . جاءت فى وجود ساحق عظيم .. فإلى أى تاريخ يرجع خلق الأرض ؟ .. وقبل ذلك بملايين الملايين من الأضعاف يرجع خلق الوجود.. فمتى بدأ ؟ .... إن العقل البشرى لا يحتمل مجرد التخيل أو التصور ..

وأمر هذا الوجود ليس عجيباً فى عـــدد النجوم والكواكب والمسافات التى تفصل بينها فقط ولا فى ضخامة الفضاء الذى يحويها والأعمار التى تنسحب قبل أن ندرك متى وجد فحسب ، بل إن كل ما فيه إنما يبعث على الفكر والتفكر ويدعو إلى البحث والتأمل فى عجب وحيرة ولا يلبث الإنسان إلا أن يصل إلى الحقيقة التى لا تعدلها حقيقة . . فلقد ظل العلماء فى حيرة من أمر إشراق النجوم إذ كيف يمكن أن تظل هذه النجوم ملايين السنين مشرقة ولا ينتهى إشراقها ، هل مرجع ذلك إلى الحرارة الشديدة الموجودة داخل النجوم والتى يرجح العلماء أنها تصل إلى عشرات الملايين من الدرجات الحرارية التى نعرفها ؟ .. ولكن كيف لا تخمد حتى لو فرضنا أنها

تفقد من حرارتها كل يوم درجة واحدة بل كل شهر بل حتى لو فقدت كل سنة كاملة درجة واحدة ، كان يكفى ملايين السنين التى مرت منذ القدم أن تصبح النجوم باردة ، ولكن ظلت حرارتها كما كانت ملايين الدرجات ، الأمر الذى بسببه حاول العلماء وضع نظريات تفسر ذلك ، فقيل إن السبب هو وجود عناصر مشعة فى النجوم ولكن لم يدم هذا الرأى كثيراً . فلما عرف العلم الانفجار الذرى حاول العلماء تفسير حرارة الشمس — وهى أحد النجوم ، الصغيرة القليلة الحرارة نسبياً فى هذا الوجود — بأن بها ما يحدث سلسلة من الانفجارات الذرية .. ولما وصل العلم إلى الانفجار الايدروجينى . . استبدلت نظرية الانفجار الذرى بالايدروجينى فى تبرير حرارة الشمس وعدم تغيرها ، وما زال العلماء فى أبحاثهم ودراساتهم فى سبيل إيجاد سبب أو آخر لإشراق النجوم إلا أنهم وجدوا أمراً أكثر غرابة ويثير حيرة أشد ، ألا وهو كيف لا تفنى كتلة النجم وهو يحترق إذ المعروف أن كل مادة ملتهبة تفقد من كتلتها بسبب الحرارة ... وأثناء دراسة العلماء لأمر إشعاع النجوم صادفوا ما يفوق بحثهم فى غرابته وما يزيد عنه فى غموضه ألا وهى الأشعة الموجودة فى كل مكان من الفضاء .. فقد أثبت العلم أن الإنسان يدرك من

الأشعة تلك التى يقع أطوال موجاتها من سبعة أجزاء من مائة ألف جزء من السنتيمتر وهى موجة اللون الأحمر إلى الموجة ذات طول أربعة أجزاء من مائة ألف جزء من السنتيمتر وهى موجة اللون البنفسجى ، ووجد أنه توجد أشعة أخرى لاتراها العين كالأشعة دون الحمراء وأطوال موجاتها أكبر من الحمراء ، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية وتصل موجاتها إلى جزء من مليون جزء من السنتيمتر ، وبالرغم من أن العين لاتراها فإن آلة التصوير تتأثر بها . وقد وجدت أشعة موجاتها أقصر جداً من ذلك الأمر الذى بسببه اتخذ العلماء وحدة لقياس الأمواج القصيرة تعرف بالانجستروم وهو جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر ووجد أن هناك أشعة اسمها الأشعة السينية طول موجاتها انجستروم واحد ، وهناك أشعة أخرى اسمها أشعة جاما طول موجتها سبعة أجزاء من ألف جزء من الانجستروم . وهذه الأشعة يمكن للإنسان أن يحمى نفسه من بعضها بأى حجاب حتى ولو كان من الورق، ولكن هناك من الأشعة ما يخترق أجسامنا بل وتتغلغل داخل خلايانا الحية فى كل لحظة وحين لأن لها القدرة على النفاذ من الجماد واختراق الماء إلى أعماق سحيقة . ولقد ارتاع العلماء عندما اكتشفوا وجود أشعة أخرى أقصر مما يمكن

أن يتصوره إنسان أو يستطيع ذكره ، هذه الأشعة يمكنها أن تخترق ما كثافته ٢٨٠ متراً من الماء بينما لم تكن الأشعة الذرية تستطيع أن تخترق إلا بضعة أمتار من الماء وتستطيع كذلك أن تخترق جداراً من الرصاص سمكه ستين قدما ، ولم تكن أقوى أشعة معروفة تستطيع اختراق إلا ما سمكه سنتيمتران فقط ، وكان العلماء يسمونها الأشعة المدمرة ، فكيف بهذه الأشعة التي تبلغ قوتها حداً لا يمكن تصوره ؟ هذه الأشعة عرفت باسم الأشعة الكونية ، وتصل إلى الأرض من جميع جهاتها وفى كل أوقاتها ليلا ونهاراً صيفاً وشتاء ولا دخل للشمس أو القمر بها ، والقدر الذى يصل إلى الأرض منها لا يكاد يذكر بالنسبة للموجود منها فى الفضاء الكونى ولا يصلنا إلا ما يشبه الرذاذ ، فكلما ارتفعنا فى الفضاء زادت كمياتها وتركيزها حتى تصبح حزما مدمرة وقوى جبارة لا سبيل إلى وصف تدميرها ، فهى الفناء تماما بصورة لا يعهدها البشر ولا يتخيلها الفكر تسير فى الفضاء فى أبعاد سحيقة وتتزاحم حتى تكون ستاراً من قوى أشد مما يستطيع أن يصفها القلم ، أى قلم فى أى عصر .. بأى لغة ... فإن الآثار البسيطة التى تصل إلينا تستطيع أن تؤثر فى الصبغات الوراثية داخل خلايا التناسل وهى مازالت فى داخل الإنسان . ويدرس العلماء

حالياً هذه الأشعة الكونية بعد أن تبين أنها قد تحكى تاريخ البشرية على الأرض وقد تلقى بالضوء على ماصادف الحياة من تطور فى مختلف أشكالها وأنواعها . فهل يصل العلم إلى معرفة كيف نشأت ؟ . . ومن أى مادة وجدت ؟ . . ومتى بدأت ؟ . . وما هو الدور الذى تقوم به الآن فى الحياة ؟ . . وما هو دورها فى المستقبل ؟ . .

إن الإنسان محاط بأنواع من الأشعة أكثر من أن تحصى أو تعد ذات ألوان وانعكاسات عجيبة فياترى لو أمكن لعين الإنسان أن ترى هذه الأشعة كلها فكيف تبدو الدنيا ؟ . . يقول فى ذلك العالم لنكولن بارنت « إن ما يدركه الإنسان عن الحقيقة التى تحيط به محدود بسبب عجز جهاز الإبصار عنده ولو أن عينه كانت أكثر حساسية فتدرك مثلا موجات الأشعة السينية لبدت له الدنيا مختلفة تماما عما يراها الآن » .

إن رواد الفضاء الذين خرجوا من الأرض ولم يغادروا بعد منطقتها إلا فى أضيق حد وإلى قدر قليل أدهشهم مارأوا ، فهذا جاجارين يقول « ما أبدع ما رأيت ، انى رأيت ألواناً لا أستطيع وصفها لأنى لم أعرفها ليت الشعراء كانوا معى فقد يستطيعون وصفها » وهذا تيتوف يصرخ عندما نظر من مركبته إلى الفضاء فيقول « إنه بديع ، بديع جداً .. إنه أبدع

مما كنت أتصور » . . فمن أبدع كل ما نرى ؟ . . وأبدع ما لانرى ؟ . . صدق القرآن الكريم الذى يقول ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَإِذَا قَضَى أَمرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

وقبل أن يتعمق العلم فى دراسة الأشعة الكونية وغيرها من الأشعة المماثلة يحاول العلماء أن يصلوا فى أبحاثهم إلى بعض الحقائق الأولى الأساسية فى الضوء فإنهم ما زالوا فى حيرة من أمره بصفة عامة بل قد انقضى أمدٌ طويلٌ وهم فى دراسة متواصلة للضوء وما هو ؟ . . فقد قرر اينشتاين أن الضوء ليس مسارا منتظماً مستمراً من الطاقة بل إنه يتكون من حزم منفصلة من الطاقة وسمى كل حزمة باسم فوتون وذلك تعليل لما شاهده إذا ما سقط ضوء على لوح معدنى إذ تنطلق الكهارب من هذا اللوح وشرح ذلك فى سلسلة من المعادلات التاريخية الرياضية ونال عنها جائزة نوبل ، ولكن لوحظ أيضاً أنه إذا سقط الضوء على مادة كمبنى أو شجرة مثلا يتكون للمادة هذه ظل واضح بينما لو وضع بين مصدر الضوء والمادة سلك رفيع لايتكون للسلك ظل واضح مما يؤكد أن الضوء إنما هو موجات قد انعطفت حول السلك كما

أجريت تجارب أخرى كلها تثبت أن الضوء يجب أن يكون موجيا فهل يعتبر الضوء ماديا بناء على نظريات اينشتاين وأمثاله ودراسات الضوء النظرية أم يعتبر موجيا بناء على ما يمكن تفسيره من مشاهدات ووقائع عملية ؟ يقول فى ذلك العالم لنكولن بارنت « ان معرفة حقيقة الضوء هل هو موجى أم مادى لم يصل العلم فيه إلى إجابة صحيحة نهائية ومع ذلك فإن الخاصية الازدواجية للضوء ما هى إلا مظهر من مظاهر ازدواج أعمق وأضخم يعم الكون العظيم » . بل إن تعريف الضوء لم يصل العلم إلى قرار بشأنه فتقول دائرة المعارف البريطانية عن تعريف الضوء « إن الضوء من المعانى الأصيلة الأولى التى يعجز عن الوصول إليها أى معنى آخر أو معان أخرى ، فطبيعة الضوء لا يمكن التعريف بها إلا بتعداد خواصه وبناء هذه الخواص على أبسط الأسس الممكنة وبما أن هذه الأسس تعجز عن إدراكها خبرة هذه الحياة فقد وجب أن نعبر عنها بصورة من صور المنطق البحت أى بالرياضة وعلى هذا سوف نصف كيف يعمل الضوء وهذا الوصف هو ما يمكن أن نعرف به الضوء إذ لاشىء يمكن سواه » .

ألا ما أقل الأسرار التى أمكن للإنسان أن يحيط ببعض

ظواهرها وبالرغم من أنها قليلة قاة تكاد تبلغ العدم فإنها تحمل معانى وإشارات احتار العقل فى الإحاطة بها وإدراك كل رموزها ، فكيف لوعرف الإنسان ما خفى عنه من أسرار وارتفعت الحجب فأبصر الآيات التى تشير إليها هذه الأسرار ؟ ..

ويحكم الوجود قوة جبارة هادفة مدبرة شاملة قاصدة تتجلى قدرتها فى نظام وحدات الكون وتظهر عظمتها فى شمولها الوجود بأكمله ، فهذه النجوم والكواكب والأفلاك والسدم بأعدادها وبما يفوق الوصف من أحجامها كلها تسير وتتحرك فى مدارات معينة وبسرعات مذهلة . فالأرض مثلا أبداً تدور ودائماً تلف فما اختلفت فى مجال دورانها لاحول نفسها ولا حول الشمس مرة .. وهكذا المجموعة الشمسية كلها .. لها مجالها ثم هذه المجموعة إنما تسير كذلك وتلف حول غيرها وغيرها كذلك إلى أن يشمل الوجود كله حركة دوارة بسرعة جبارة فأى قوة تلك التى حكمت هذا الوجود بأكمله ودفعته هذه الدفعة فظل أبدا يدور .. ويطوف ويطوف منذ ملايين الملايين من السنين وما عصت وما تمردت. بل سمعت وأطاعت .. والحركة السريعة التى عليها وحدات الوجود كله جعلت الحياة تقوم بالنظام الذى نراه .. فنقف

على الأرض ونسير عليها فلا تطردنا حركتها إلى خارجها بل إن من يراها من الخارج يخيل إليه أنها واقفة معلقة فى الفضاء فلا يملك إلا أن يسأل نفسه . . ترى ماذا يمسك السماوات والأرض ؟ .. ولقد كان ذلك هو السؤال الذى سأله تيتوف لنفسه عندما خرج بمركبته من الأرض إلى الفضاء إذ أنه عندما عاد كان أول ما قاله فى مؤتمر صحفى عالمى « لقد سألت نفسى وأنا أرى الأرض معلقة فى الفضاء فوق رأسى ترى ماذا يمسكها فلا يجعلها تسقط ؟ » . ان تيتوف لم يقرأ بعد الآية الشريفة من القرآن الكريم التى تقول :

﴿ إِنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرضَ أَن تَزُولاَ ﴾ :

والآية التى تقول : ﴿ وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاَّ بِإِذنِهِ إنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وهذه القوة كما تشمل الوجود كله فإنها تحيط به إحاطة كاملة تامة إذ أن اتساع الكون كما أنه يشير إلى وجود قوة داخلية تدفعه إلى الخارج فإن الاتساع لأنه يتم بسرعة معينة مستمرة فهو يدل على وجود قوة خارجية تحيط به فتتحكم فى سرعة هذا التمدد .

أما مبدأ هذه القوة فإنه أمر عجب إذ ثبت علمياً أنها لا بداية لها . كما أنها لانهاية لها . . ومن خلال هذه الحقائق تنفتق لنا بعض أسرار الآية الكريمة : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بكُلِّ شيْءٍ عَليمٌ ﴾ .

يعتبر أهم ما اكتشفه البحث العلمي فى العصر الحديث بل وفى العصور كلها أن الذرة ليست هى وحدة المادة فقد كان المعروف إلى عهد قريب أن الذرة لاتتجزأ ولا تتحطم وأنها لذلك وحدة المادة فباجتماع الذرات تتكون المادة سائلة أوصلبة أو غازية ، ثم توالت الأبحاث العلمية حتى وصل العلم إلى حقيقة كبرى هى أن الذرة يمكن تجزئتها إلى مكونات وبتحطيمها وقف العقل وهو يكاد يذهل عندما عرف بعض الحقيقة عن هذه المكونات ، فهذه الذرة التى تبلغ من الصغر حداً يكاد يكون خيالياً إذ يبلغ قطر أكبر الذرات جزءاً من مائة مليون جزء من البوصة تتكون من جسيمات أقل وأدق منها بنسبة لا تخطر على بال فإذا كانت الذرة فى حجم مدينة كبيرة فإن الجسيمات المكونة لها تكون فى حجم أصغر مبنى فى هذه المدينة . . ولصغرها إلى هذا الحد ولأنه يصعب أن يطلق عليها اسم مادة فقد اصطلح على تسميتها بالكهارب فهى رقائق كهربائية ووجد أن منها

سالب الكهرباء فسميت الكترونات وموجبه وتسمى بروتونات وتتكون الذرة من نواة داخلها البروتونات وخارجها الالكترونات وأخف الذرات ما تحتوى على بروتون واحد فى النواة والكترون واحد خارجها وهى ذرة الايدروجين وتزداد إلى أن تصل فى ذرة الاورانيوم إلى ٩٢ بروتونا فى داخل النواة و ٩٢ الكترونا فى خارجها . . . وقد وجد أن الالكترونات فى حركة داخل النواة تشبه تماما حركة الكواكب فى المجموعة الشمسية وأنها تتناسب معها كذلك فى السرعة تناسباً تاما وكذلك فإن البروتونات داخل النواة فى حركة دائبة .. فلابد من وجود قوة تدور حولها هذه الكهارب ودفعتها فى أول وجودها . . فكأنه فى العدم أو فيما يسميه العلم الصفر المطلق توجد هذه القوة ولا شىء غيرها بل ولا وجود لغيرها عندها فحول هذه القوة تبدأ كهارب المادة الأولية وعلى ذلك فإن هذه القوة موجودة فى داخل كل ذرة بل فى داخل نواة الذرة بل إنها هى وجود الذرة فحولها لابد أن تلف الكهارب وبدونها لاقيام للذرة وما دامت الذرة هى وحدة وجود المادة فبالتالى إذن لايكون للمادة وجود .. وهذا هو الفناء والعدم .. أو عدم قيام المادة ..

وهذه القوة تعرف عنها وحدات الوجود أكثر مما نعرف نحن بنى الإنسان وتعلم عنها كهارب الذرات أروع مما نعلمه

نحن البشر عنها ، فوحدات الوجود فى سبح دائم حولها وفى حركة دائبة بأمرها وفى استمرار تام بمشيئتها أما الكهارب والذرات فلأنها أقرب فأمرها أكثر عجبا وأشد خطراً .. فإن الالكترونات وهى الكهارب خارج النواة حركتها حركة دائرية سابحة أما البروتونات التى داخل النواة وهى أقرب الأشياء فى الوجود إلى مركز المادة فإن حركتها حركة دائمة تتميز بأنها ذاتها قمة وقاع ... أى قيام وسجود ... وكذلك حركة الصبغيات وهى الدقائق الرقيقة فى نواة الخلية الحية للكائن الحى لأنها أقرب إلى مركز الوجود فحركتها تموجية لولبية ... ارتفاع وقعود ... أى قيام وسجود ..

فإذا كانت الحركة هى صفة وحدات هذا الوجود كله ألا يدل ذلك على أن لهذا الوجود محركاً .. لايتصف هو بالحركة .. فالحقائق العلمية والشواهد العقلية والأدلة المنطقية كلها تقول أن لكل حركة مسبباً .

وبدراسة الذرة ومكوناتها وصل العلم إلى أسرار رهيبة فمن المشاهدات التجريبية والحقائق العلمية عرف أن الأجسام ذات الشحنات الكهربائية المختلفة تجذب إحداها الأخرى فإذا أخذنا جسما مشحوناً شحنة كهربائية موجبة وآخر مشحوناً شحنة كهربائية سالبة جذب أحدهما الآخر وكلما زاد الاقتراب بين الجسمين زادت قوة الجذب وبذلك أمكن للعلم أن يعلل

سر التماسك الذرى إذ أن الجذب بين الالكترون والبروتون هو الذى يجعل مكونات الذرة متماسكة واستخرجت المعادلات والقوانين لذلك . ولكن وجد أن هناك شيئاً عجيباً وغريباً ينافى ذلك بل على النقيض ويوجد فى الذرة إذ أن نفس الحقائق العلمية تقول إنه إذا كانت كهربائية الجسمين من نوع واحد موجبة مثلا أو سالبة فإن أحدهما يدفع الآخر وتزداد قوة الدفع بين الجسمين كلما صغرت المسافة بينهما .. فكيف يوجد فى نواة الذرة فى معظم الأحيان أكثر من بروتون واحد إلى أن يصل إلى ٩٢ كلها موجبة وخارجها الكترونات تصل إلى ٩٢ كلها سالبة ولا تتدافع البروتونات بعضها مع بعض وكذلك الالكترونات ... ؟ لقد حاول العلماء تبرير ذلك فقالوا إنه إذا ضاقت المسافة بين كهرب وآخر فأصبحت جزءاً من ١٢ مليون مليون جزء من البوصة تعطل عندها قانون الكهرباء العام بل وينعكس الأمر فيصبح التدافع جذباً .. وكل ذلك ما هى إلا محاولات من العلم لتفسير ظواهر عجيبة فى هذا الكون فنرى قانوناً وعكسه فى حالة واحدة وفى ذرة واحدة .. ألا يدل ذلك على وجود قوة أعظم قدراً من تلك القوانين .. هذه الأسرار بعض مظاهرها ؟ ..

إن قدر هذه القوة يشير إلى بعضها أحجام وحدات الوجود وأوزانها وأعدادها والأزمنةالتى انقضت على دورانها ومازالت

وستظل فى دورانها . هذه القوة يشير إلى بعضها أنها تملأ الوجود بأكمله بل تزيد عليه لأنها تحيطه وأنها تبدأ من الصفر المطلق فهى توجد حيث لاشىء قبلها .. بل لاشىء عندها وأقرب حركة لها .. هى دليل الاعتراف برب الوجود .. القيام والسجود .. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُه عَنِ اليمين والشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ داخِرُون ، وَلِلَّهِ يَسجُد ما فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالملائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكبِرُون ، يَخافُون ربَّهُم مِن فَوْقِهِم ويفعَلُونَ ما يُؤمَرُون ﴾ .

وعلى ذلك فالكون بحقيقته واكتسابه حركته وقيامه بأنظمته ألا يشير ذلك إلى حقيقة . وأى حقيقة :. إنها الحقيقة الكبرى :

ولا تقتصر آيات الكون على ما فى السماء من نجوم ، وكواكب وأفلاك وأنظمة وحكمة بل إن كل مافى الوجود إنما يشير إلى هذه الحقيقة وينادى بوجودها .

فمن الثابت المؤكد أن الإنسان يعيش على الحيوان والنبات ويتغذى الحيوان أساساً بالنبات ولأن الحياة قد قامت وعاش الإنسان الأول فلابد أنه قد وجد الحيوان والنبات فتغذى عليها ولأن الحيوان وجد قبل الإنسان فلا بد أن الحيوان

الأول قد وجد النبات فعاش عليه وهذا ما يدل على أن النبات قد سبق الحيوان والإنسان فى الحياة . وقد قرر العلم كذلك أن النبات هو أول ماوجد من شواهد الحياة على الأرض إذ أن الحفريات قد أثبتت أن النبات سبق غيره من الكائنات . . فهل قامت النباتات وحدها ؟ . . أم هكذا وجدت ؟ ... لقد استغل الإنسان العلم فى ميدان النبات فتمكن به من تحسين أنواعه بأن عمد إلى توفير المواد الغذائية اللازمة لها وتهيئة الوسائل الكفيلة بمنع إصابتها بأية أمراض كما وصل بعلمه إلى تهجين نباتات بأخرى للحصول على أنواع أفضل ولكن هل أمكنه أن يخلق جديداً ؟ .. إن القمح والشعير والخضر والبقول والفواكه وغيرها كلها وجدها الإنسان الأول والدليل على ذلك أنه عاش وتناسل والإنسان ليعيش لابد أن يتغذى على ما يحفظ عليه حياته ويسد احتياجاته ويسبب نمو أعضائه ، ولا يمكن لصنف واحد من الغذاء أن يمده بكافة العناصر اللازمة لمقومات حياته ونموه فلو كانت النباتات الموجودة وقت الإنسان الأول كلها شعيراً أو قمحاً أو بقولا مثلا ما أمكن له أن ينمو إذ لابد أن يحصل على المواد النشوية والسكرية والدهون والأملاح ، والفيتامينات بكل أنواعها وهذه كلها لا تتوافر إلا فى أصناف متعددة وأنواع مختلفة من الخضر والفاكهة ...

إن الإنسان فى العصر الحديث قد سخر العلم إلى درجة لم تكن فى حسبانه فقد تغلب مثلا على جاذبية الأرض فخرج منها وأمكنه أن يتخاطب مع غيره مهما بعدت بينهما المسافة ولو كان الواحد فى شرق الأرض والثانى فى غربها بل قد أمكن أن ينقل الصورة عبر المحيطات والقارات وقد اكتشف واخترع فى شتى نواحى حياته جديداً مفيداً هذا الإنسان قد أجهده البحث لزيادة المواد الغذائية وأصبح شبح المجاعة يهدده أينما كان فى معظم أوقاته فهل استطاع هذا الإنسان وقد وصل إلى درجة كبيرة من العلم أن يتغلب على أصناف النباتات الصغيرة الواهية التى تعتبر ضارة فى اعتقاده ؟ ... إذا كان لم يستطع ذلك فهل يمكنه أن يخلق نباتاً مهما كان صنفه ؟ .. إن الإنسان لم يحاول — حتى مجرد المحاولة — بالرغم من أنه يعلم تركيبه ووظائف أعضائه وطرق معيشته .. فهل هى الصدفة التى خلقت النبات؟ ..

إن الدراسات والأبحاث العلمية قد أكدت أن حياة النبات لم تقم صدفة إطلاقاً .. فأصناف النبات كلها فى حالة توازن طبيعى وتؤدى خدمة عامة محددة هادفة فى حياتها .. قاصدة فى تنوع أصنافها .. ولكن تدخل الإنسان منذ قديم الزمان لزيادة كمية نوع من الأنواع فى بقعة معينة أو نقل صنف من جهة إلى أخرى سبب بطريق مباشر نقل آفة حشرية

أو مرض نباتى من جهة إلى أخرى ، ولو أن الإنسان ترك كل صنف ينمو فى تربته ولم يتدخل فى نقل ما وجده قائماً من مكان إلى آخر ماكان أصاب العالم ما نراه من آفات وأضرار ويقرر جيمس بونر أستاذ علم الأحياء بمعهدكاليفورنيا العلمى أن النباتات النامية على سطح الأرض وفى باطن البحر تنتج سنوياً من الغذاء ما يكفى لإطعام ٥٠٠ ضعف من سكان العالم حالياً ولكن الآفات تسبب خسارة ونقصاً كبيراً .

وقد يسأل البعض ولماذا إذا خلقت الحشائش التى نراها ضارة فى الحقل ؟ وما الهدف من هذه الطفيليات النباتية التى لايرى الإنسان لها طلباً بل أنها تؤذى النبات بما تأخذه من بعض غذائها .. وأنها تخلق بلا زرع من الإنسان ، لقد رد العلم على هذا التساؤل بما وصل إليه بقراره الحكيم من أن وراء كل نبتة صغيرة على الأرض هدفاً بل وأهدافاً كثيرة ، لقد استخرج من بعض الحشائش العقاقير والأدوية ومن غيرها مواد الصباغة والصناعة وغيرها تستعمل كغذاء لحشرات معينة تحقق عملا آخراً بعيداً عن النبات وإنما يخدم الإنسان بطريق مباشر أوغير مباشر بحيث يحفظ عليه حياته .

وتعتبر مملكة النبات شيئاً عجيباً وفريداً وغريباً وكلما تعمق العلماء فى دراستها كلما تأكدوا أن ما وصلوا إليه بدراساتهم لا يعتبر شيئاً بالنسبة إلى الحقائق التى تفيض بها حياة النبات

ولا العجائب التى تلاحظ فى أفراده ولا الآيات التى يمكن أن تستخلص من مشاهدته .. ويبلغ عدد أنواع وأصناف النبات حداً لم يمكن حصره حتى الآن ولإمكان دراسة المملكة النباتية كان لابد من ترتيبها وتقسيمها حتى يسهل دراستها فكانت أول محاولة لذلك التقسيم الذى قام به العلماء على حسب المنافع الاقتصادية التى يحصل عليها الإنسان من مختلف النباتات فكانت الأصناف التى تستخرج منها العقاقير الطبية توضع فى قسم والتى يحصل منها على المواد الغذائية توضع فى قسم آخر ونباتات الألياف التى تصنع منها المنسوجات توضع فى قسم . ولقد وجد العلماء بعد أن تقدمت أبحاثهم أن من النباتات بل إن معظمها ما يفيد الإنسان لأكثر من غرض وأن هذا التقسيم لم يستطع به العلم ترتيب المملكة النباتية ترتيباً يحقق دراستها . وفى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى عمد العالم النباتى لينوس إلى تقسيم النباتات بالنسبة لصفاتها التناسلية وكان عدد هذه الأقسام مما يثير العجب إذ وصل فى تقسيمها إلى ٢٤ قسما يضم كل قسم مجموعات عديدة ولكن بتقدم الدراسات ترك العلماء هذه التقسيمات كلها واقترحوا تقسيما جديداً أساسه الترتيب الطبيعى الذى يتركز على الشكل الخارجى والتركيب الداخلى للنبات فقسمت النباتات عامة إلى أربعة

أقسام كبرى يعرف كل منها بالمجموعة النباتية وكل مجموعة قسمت إلى قبائل والقبيلة إلى أقسام والقسم إلى تحت قسم وهذا إلى مجموعات والمجموعة إلى رتبة والرتبة إلى عائلات والعائلة إلى أجناس والجنس إلى أنواع والنوع إلى أصناف والصنف إلى أفراد وعدد الأفراد شيءٌ كثيرٌ وغريبٌ . .

هذه المملكة التى تضم أنواعاً لاتكاد ترى بالعين كما تضم أشجاراً تبلغ أطوالها وأحجامها رقما يبعث على الدهشة . . فالخيوط الرقيقة الرفيعة الخضراء التى تنمو على الخبز فنطلق عليها العفن إن هى إلا نباتات حية وكذلك تلك الرقائق ذات اللون الأخضر أوالأحمر التى نراها على الصخور الموجودة على ضفاف البحار ونسميها الطحالب إن هى إلا نباتات شأنها شأن أشجار الجميز والنخيل والكافور ..

ولقد كانت النظرة الأولى للنبات حتى بعد أن تقدمت العلوم تشير إلى اعتقاد الإنسان بأن النبات أقل الكائنات الحية شأناً إذا ماقورن بالحيوان أوالإنسان .. فالنبات كما يظهر للمشاهد إن هو إلا عود أخضر تتجاذبه الرياح بل تدفعه نسمات الهواء الهادئة ، ساقه فى معظم أحوالها لينة غضة لاتستطيع أن تدفع شراً أوتقاوم أمراً أما أوراقه فهى رقيقة خفيفة لطيفة بسيطة ، إلا أن ما وصل إليه العلم فى الآونة

الأخيرة جعل العلماء يبدلون نظرتهم للنبات ويغيرون اعتقادهم فيه ، فمن دراسة حياة النبات وجد أنه عن طريق ما يسمى بالتركيب الضوئى يصنع غذاءه إذ يمتص الكلوروفيل أو اليخضور وهو المادة الخضراء فى النبات الضوء من أشعة الشمس فى مدة لاتتجاوز جزء من مليون جزء من الثانية ويحول هذه الطاقة المستمدة من الضوء ومن الماء وثانى أكسيد الكربون الموجود فى الجو ويكون منها مواده السكرية .. أى أن النبات يقوم بعملية هى عكس ما يقوم به الحيوان والإنسان إذ أن الإنسان والحيوان يأخذان المواد الغذائية ويحللانها ليحصلا منها على الطاقة بينما النبات يحول الطاقة إلى مادة غذائية .. وعند ذلك أعلن العلماء أن دراسة هذه العملية فى النبات هى الخطوة الأولى من خطوات البحث عن سر الحياة وأن يخضور النبات يحمل أول سبل هذا السر وأنه إذا وصل العلم إلى معرفة كيف يقوم النبات بهذه العملية فقد يكون فى ذلك الوصول إلى بعض سر الحياة .. كما قدر العلم بذلك أن الحياة فى النبات أعقد وأقوى منها فى أى كائن آخر ومنه الإنسان بل إن حياته عكس حياة كافة الأحياء الأخرى وأنها إن كانت تكوّن مع حياة الكائنات الأخرى دائرة مقفلة فى الوجود فالنبات يكوّن حلقة فيها تتكون المادة

من الطاقة وهذا أخطر وأصعب وأعمق ما يعرفه الإنسان فى أمور الحياة بينما يكون الإنسان والحيوان الحلقة المقابلة التى تتحال فيها المادة إلى طاقة وهو أمر يسير ومعروف . . ولقد حاول العلماء إجراء تجارب مختلفة متعددة لمحاولة جعل الماء يتحد مع ثانى أكسيد الكربون فى وجود الضوء وفى وجود محلول الكلوروفيل ولكنها فشلت تماماً فتأكد العلماء من وجود شيء ما فى النبات لابد من وجوده لخلق هذا الاتحاد وتكوين المادة .. وقد قال عنها العلماء إنها سر الحياة ..

وتتم فى النبات عمليات كيماوية عجيبة ونتائجها أعجب ولكنها كلها تهدف إلى تكوين النبات بصورته التى يجب أن يكون عليها لتحقيق الهدف من نوعه فمن هذه العمليات عملية التغيير الغذائى وهى نوعان عملية بناء وتشييد إذ يتكون فيها من المواد البسيطة كالسكر نشا أومن المواد الكربويدراتية زيوت وهى مواد معقدة تستعمل فى بناء النبات وعملية هدم وتحليل إذ تتحال المواد المعدنية أو العضوية فى النبات إلى مواد أقل وينتج عن ذلك انطلاق مجهود يستخدمه النبات فى حركة أودفاع . وتوجد عمليات أخرى ينتج عنها تكون الأحماض العضوية أو الزيوت الطيارة أوالأصماغ والقلويات وذلك لوقاية النبات من الحيوانات كما ينتج أيضاً مواد لبنية

وراتنجات تستخدم كإسعاف لجزء أصيب فى النبات إذ يجمعها حول الجروح لوقاية أنسجته من شر الجراثيم .

ومن ضمن ما أثبتته الاكتشافات الحديثة فى النبات أنه يوجد به هرمونات كتلك التى توجد فى الكائنات الحية الأخرى وإن هذه الهرمونات عبارة عن مواد منسقة ومنظمة تشرف على جميع العمليات الحيوية التى تتم فى النبات ومن هذه الهرمونات ما يختص بالمحافظة على الأزهار فيحول دون سقوطها قبل اكتمال نموها ومنها ما يختص بالثمار لنفس الغرض وتوجد هرمونات تنظم عملية إنضاج الثمار وتحدد الوقت المناسب لذلك وأى اختلال فيها قد يسبب نضوج الثمار فى وقت أسرع أو يؤخره .. كما أن هناك هرمونات تتدخل فى عملية توزيع الغذاء على أجزاء النبات المختلفة فتعطى الثمار الأفضلية على غيرها فى الحصول على الأغذية المجهزة . وقد تحقق العلماء من أن جميع الظواهر المرضية فى النبات والتى منها نقص الإنتاج الثمرى أو رداءة صنفه أو إصابته بأية أمراض إنما يرجع ذلك إلى نقص إفراز الهرمون الطبيعى فى النبات وقد أمكن تعويض ذلك باستعمال هرمونات صناعية تشابه فى نتائجها الهرمون الطبيعى الذى يفرزه النبات وما زال العلم يبحث أى أجزاء النبات يفرز هذا الهرمون . . . أو أن

جميع أجزاء النبات تفرزه ؟ .. أم أنه يوجد فى بذور النبات فينتقل من الجنين إلى النبات ثم إلى البذور ..

ومما أضيف إلى فوائد النبات فى مختلف قطاعات الحياة ما ثبت أخيراً أن بعض النباتات تقبل على امتصاص معدن اليورانيوم بنهم شديد وتخزنه فى الأوراق وقد أمكن استخدام هذه الظاهرة فى البحث عن هذا المعدن الخطير ويمكن بعداد جايجر معرفة أوراق النباتات التى تحتوى على هذا المعدن وبالتالى يمكن معرفة الأرض التى يوجد بها هذا المعدن ، ومن أهم النباتات التى تحرص على جمع هذا المعدن فى أوراقها أشجار الصفصاف البلدى والأثل .

ويقوم النبات بعدة عمليات مختلفة للتحايل على الظروف التى قد يواجه فيها أية صعوبة فى حياته وتظهر بصورة واضحة كلما كانت الظروف التى يواجهها أكثر صعوبة وقد يقوم النبات بعمليات خطيرة تعتبر غريبة وذلك لأول مرة فى حياته إذ تكون هذه العمليات ليست مرحلة فى مراحل نموه ، فمثلا فى تكساس والمكسيك نبات سالاجينلا لبيدوفيلا ينمو بحالة طبيعية طالما كانت الظروف طبيعية فإذا ما حل بالبلاد الجفاف تحول النبات إلى كرة كبيرة جافة سمراء اللون فيبدو وكأنه ميت تماماً فإذا انتهى الجفاف وعادت الأمطار

تنفتح الكرة المتماسكة الأجزاء وتنتشر أفرع النبات الذى يأخذ فى الاخضرار مرة أخرى ويستمر فى حياته من جديد، وإذا لم يصادف النبات جفافاً فى حياته فإنه لايقوم بهذه العملية فهى إذاً عملية طارئة فيه .. لظروف طارئة عليه .. وكذلك ما يقوم به النبات بجميع أنواعه فى ولاية أنديانا إذ يؤدى هبوب الرياح على شاطئ بحيرة تشجان إلى تغيير موضع الكثبان الرملية بصفة مستمرة وهذه الكثبان تغطى الأشجار والنباتات حيناً وتكشف عنها حيناً آخر وإذ تجد غصون الأشجار المغطاة بالرمال إلى نصفها أو ثلثها أنها قد دفنت حية عمدت فوراً إلى الإفادة من اكتساب الوقت على أحسن وجه فتتحول السوق والأفرع إلى جذور وتعمل عملها ومتى تحسنت الأحوال واستقرت الأوضاع وزالت الرمال عادت أغصان النبات إلى سيرتها الأولى .

ولعل أهم ما وصل إليه العلم من أبحاث فى النبات أخيراً ما أثبت أن النبات تعتمل فيه مختلف الأحاسيس وأنه فى هذا الشأن كالإنسان تماماً . وقد نشرت المجلة الزراعية فى عددها الأخير من عام ١٩٦٠ ما نصه (لقد أثبت عالم الطبيعة النووية الدكتور هوبارد أن النبات يتمتع بإحساس كالإنسان تماماً ، وذلك عن طريق استعمال جهاز الجلفانومتر الذى يستعمل

فى كشف الانفعالات الحسية الموجودة فى الإنسان وهو الجهاز الذى يطلق عليه اسم (مكتشف الأكاذيب) لقدرته على معرفة حالات الفكر الموجودة فى الإنسان . وقد ضبط الدكتور هوبارد الجهاز على العلامة التى تسجل انفعالات الخوف والشعور بالذنب عند الإنسان وقام بتوصيل ثمرة طماطم ما زالت على نباتها بالجهاز ثم غرست إبرة داخل ثمرة الطماطم فبدأت إبرة الجلفانومتر تهتز وترتفع وقال هوبارد إن نفس شعور القلق والخوف من الموت قد ظهر فى النبات وهذا يعنى أن النبات يفكر ويساوره القلق وينتابه الرعب كالإنسان تماماً ، ويرى الدكتور هوبارد أنه من الواجب العمل على تطوير الانفعالات بالنبات إذا أردنا فهمه واستغلاله من أجل الإنسانية . ومن أجل هذا الغرض بدأ فى دراسة النباتات بطريقة سيكولوجية فأثبت أن عوامل الخير والشر عند الإنسان لها مثيلها فى النبات ، فهناك نباتات رقيقة الحساسية خيرة تحب الجميع ، وهناك نباتات قاتلة مثل الأشجار الموجودة فى الأمازون والصبار الذى ينمو فى الأريزونا . هذه النباتات متخصصة فى الهجوم والأغراض الشريرة . وعلى الرغم من أن التجارب التى قام بها هوبارد تحتاج إلى أبحاث كثيرة إلا أنها أعطت نتائج باهرة تؤدى إلى التحكم فى اختيار

(٤)

النباتات الجيدة الثمار . وبفضل دراسة سيكولوجيا النبات يمكن إنتاج أنواع مختلفة من الفواكه والخضروات بدراسة الانفعالات التى تؤثر على النباتات فى مرحلة النمو المبكرة ؛ ويعلل الدكتور هوبارد إصابة النباتات بالآفات نتيجة لتفكير النبات فى الموت وقد أثبت أيضاً أن النبات يشارك الإنسان فى انفعالات السرور والألم . وذكرت مس ستلا بوميا الهندية أن الموسيقى تساعد على نمو النبات بسرعة ، وقد اكتشف عالماً أمريكيا من علماء الكيمياء الحيوية أن نباتات الطماطم والموز تصاب بصدمات ونوبات قلبية نتيجة لانسداد الشرايين . وعندما أجرى الدكتور هوبارد تجارباً لإرسال نباتات فى الفضاء دون التأثر بأحوال الجاذبية فوقفت النباتات عن النمو لشعورها بالخوف ، إذ أن النباتات تنمو فى جو من المرح والسرور ، ويستطيع النبات أن يكيف نفسه طبقاً لاحتياجات الناس فيمكن الحصول على خوخ بدون زغب أو خيار منتظم أو بصل غير مسيل للدموع وهكذا . لهذا يجب علينا أن نعرف كيف نعامل النبات برقة خشية أن يأتى اليوم الذى تثور فيه هذه النباتات المخيفة ضد الإنسان .

وفى أوائل هذا العام أعلن العالم السوفييتى إيفان جوبار أنه بعد أن أمضى عشرين عاماً فى دراسة تشريح النبات

تأكد من وجود جهاز مركزى ينظم الوظائف الحيوية للنبات ولا يختلف عن الجهاز العصبي فى الإنسان والحيوان وأن هذا الجهاز يشمل جميع أجزاء النبات ويشمل عمل هذا الجهاز نقل الأحاسيس والمعلومات من جزء إلى آخر فى النبات عن طريق موجات كهربائية يشرف عليها وتبلغ سرعة هذه الموجات حوالى تسعة عشر متراً فى الساعة . وما زال العلم يبحث فى النبات وما زال الذى لم يعرف منه أكثر مما عرف وما خفى من أمره أعظم مما وضح فقد ثبت أن النبات يزيد أهمية عن غيره من الكائنات ، ولذلك فإن العلماء اتجهوا فى دراسته إلى كل أثر له فى مختلف القطاعات وعلى كافة الأحياء وكان أول ما وصل إليه العلماء حقيقة تقرر أن صعود العصارات النباتية إلى سيقان النبات وزيادة تغلغل الشعيرات الجذرية فى الأرض ونشاط النمو فى الأوراق فى الربيع زيادة عن غيره فى المواسم الأخرى يسبب بطء دوران الأرض إذ يطول اليوم بنحو عشرين جزء من مليون جزء من الثانية أى أن عود النبات الغض الخفيف يتدخل فى سرعة دوران الأرض ..!!

فيا ترى كيف يكون حالنا إذا عرفنا ما جهلنا ورأينا ما احتجب عنا من شئون النبات ؟ .. أنكون فى حاجة بعدها إلى أدلة تثبت لنا الحقيقة الكبرى ؟ ..

وعلى الأرض من الكائنات الحية غير النبات الحيوان الذى يعيش على البر والأسماك التى تعيش فى البحر والطيور التى تعيش فى الجو . والحشرات التى تعيش فى باطن الأرض أو على سطحها أو فى جوها .

وتكوين أفرادها وأجهزة أعضائها وما تقوم به من أمور لتدبير حياتها ليبعث العجب ويثير الدهشة ويشير إلى القوة المدبرة الحكيمة الرحيمة التى خلقت فأتقنت وأوجدت فأبدعت وقد سبقت أمثلة على ذلك فى كتاب (الله والعلم الحديث) فليتفضل بالرجوع إليها من يشاء والذى ذكر لايعتبر شيئاً إذا قيس بما لم يتسع المجال حتى إلى الإشارة إليه .

ومن أهم ما وصل إليه العلم فى أبحاثه عن الحيوان تلك الحقيقة التى تقرر أن أصناف الحيوانات ومختلف أنواعها إنما قامت لتحقق هدفاً أساسياً فى الوجود هو استمرار عجلة الحياة ، فمن الحيوانات أصناف اختصت بتغذية الإنسان باللحم والدهن أو اللبن ومنتجاتها المختلفة ، وغيرها يحصل الإنسان منها على لباسه من وبر وصوف وفراء ، وأخرى يستخرج منها مواد الصناعة وأصناف اختصت بالعمل ولا يستطيع غيرها القيام به من حراثة وسقى ، وغيرها يستخدمها الإنسان فى انتقالاته ونقل متاعه وهكذا لاتوجد

إطلاقاً أية أصناف فى عالم الحيوان إلا ولها دور معلوم وعمل مقصود وهدف محدود حتى الحشرات والديدان إذ أن الدائرة كاملة والحلقات متصلة فلا يجوز أن ننظر إلى واحدة وندرسها إنما ندرس السلسلة كاملة . فهذه الديدان فى الأرض إنها تسبب تهوية التربة مهما كانت التربة جامدة وجافة فيجد النبات السهولة واليسر فى دفع جذوره كما أن الديدان بما تأكله تعتبر عاملا من عوامل خصب الأرض بل إنه لوحظ أن شجر السدر الأحمر لايجود إلا فى الأرض التى بها صنف من الدود اسمه خرطون الأرض إذ أن هذا الدود يلتهم ورق هذا الشجر وبه نسبة عالية من الكالسيوم فعندما تهضمها هذه الديدان تعود نسبة هذا العنصر فى الأرض مرة أخرى ليكون بها النبات أجزاءه وبدونها ينمو النبات ضعيفاً هزيلا وإذا نقصت عن حد معين لاينمو النبات ، وأما إذا زادت كميات الدود فقد تصبح خطراً على النبات وعندها نجد أن هناك أعداء تقف لها بالمرصاد فتتغذى عليها حتى تظل بالنسبة المقررة لها والتى تقوم بها الحياة . فهذا طائر أبو قردان الذى يحرم صيده فى بلادنا نجده يتغذى بديدان الأرض ولو قل عدد هذا الطير لزادت الديدان زيادة خطيرة ولو زاد عدد الطير عما هو مشاهد لانعدمت الديدان وأضر ذلك الزرع .

وهكذا فى كل أصناف المملكة الحيوانية . وقد احتار العلماء فيما شاهدوه من تصرفات الحيوان ، فقال البعض إنها تتم بإلهام والبعض قال إنها الغريزة إلا أن الثابت الذى اتفق عليه العلماء أن ما يقوم به الحيوان أمر يسبب الحيرة ويبعث الدهشة فإذا تركنا ما يمكن أن نطلق عليه الإلهام أو الغريزة وجدنا أموراً أكثر تعقيداً تتم ولا دخل للحيوان نفسه فيها . فمثلا نجد أن حيوان الأيل ذو قرون عجيبة صلبة وقوية إلى حد كبير وكبيرة ومتشعبة إلى درجة غريبة ، هذه القرون هى سلاحه الوحيد ، فبها يدافع عن نفسه عندما يخرج من عزلته فى شهور الخريف والشتاء وهو موسم التزاوج للبحث عن أنثى له ، فإذا ما انتهى هذا الموسم ورحلت الأنثى إلى حيث تستعد لوضع وليدها ، عاد الأيل إلى الاعتكاف فى مكانه المنعزل قرب المرعى وعندها نجد أنه قد تكونت حلقة من العظام عند مكان اتصال القرون بالرأس ، هذه الحلقة تضيق رويداً رويدا إلى أن تتقصف القرون وتسقط تماماً ، وفى الربيع تبدأ القرون فى النمو مرة أخرى فى نفس مكانها ، فكيف تتكون هذه القرون كل سنة وفى موعد محدد ثم تتقصف فى وقت معلوم ؟ .. وأعجب من ذلك أن وزن هذه القرون

يزيد على وزن الهيكل العظمى للحيوان كله ... فهل للحيوان نفسه دخل فى ذلك ؟ .. وهل هذا يتم بإرادته ؟ ..

وإذا كان الإنسان قد استعمل حديثاً فى حرب أعدائه الغازات الخانقة فإن الحيوانات والحشرات تستعملها منذ ملايين السنين ، أى من تاريخ وجودها على الأرض ، فالنمل إذا هاجمه عدو لجأ إلى جمع أفراده ومهاجمة العدو فإذا تغلب العدو انسحب النمل إلى داخل مسكنه ليتبعه العدو وعندها يقذف النمل من غدد تحت بطنه حمض النمليك الذى يتبخر فى داخل المسكن المغلق وتختنق منه الحشرات المهاجمة .. فهل يعرف النمل متى يطلق هذه السوائل ؟ .. ولماذا لايطلقها إلا فى داخل مسكن مغلق ؟ .. ولماذا لايطلق النمل هذه السوائل عند أى هجوم ؟ .. ويقتصر فى ذلك عندما يقترب من الهزيمة . وليست القذائف الغازية أو السائلة وقفاً على النمل وأشباهه بل إنها كذلك فى بعض الأسماك إذ يوجد عند بعض أصنافها غدد تفرز مواداً لا لون لها إذا خرجت إلى الماء كونت سائلا أسوداً كثيفاً ليخفيها عن مهاجميها .

ولبعض الحيوانات القدرة على إفراز مواد إذا ما تعرضت للجو أنتجت سحباً كثيفة تكون كستار يختفى الحيوان فيه عن مهاجميه .

إن عالم الحيوان عجيب وطريف ولكل منا حوادث وقصص ومشاهدات لأفراد منه تثير الدهشة .. وأليس من العجيب أن تقوم دودة صغيرة بما لم ولن يستطيعه الإنسان ؟ .. فهناك أصناف من الديدان إذا قسمت إلى قسمين كون كل قسم دودة مستقلة ، وغيرها إذا قطع رأسها كونت رأساً ؛ وخيار البحر الذى إذا طارده عدو استطاع أن يقبض عضلاته الداخلية ويمزق بعض أحشائه ويلفظها خارج جسمه فإذا ما انصرف العدو إلى التهامها أسرع الحيوان إلى الفرار ولا تلبث الأحشاء الداخليـــة أن تعود مرة أخرى كما كانت !!

وكل ما يكتشف فى عالم الحيوان إنما يؤكد حقائق كثيرة منها عظمة الخلق ودقة الصنع وتمام التدبير وكمال الإتقان وتحقيق الهدف وغيرها حقائق كثيرة وعديدة وكلها إنما تشير إلى الحقيقة المؤكدة .. الحقيقة الكبرى ..

وإذا ما تركنا السماء وما فيها من نجوم وأفلاك والأرض وما عليها من نبات وحيوان ونظرنا إلى الإنسان الذى نراه ظاهرياً فى غيرنا ونحس به فى أنفسنا ، الإنسان الذى يعتبر قمة الكائنات الحية على الأرض وجدنا أنه معجزة وأى معجزة وأنه لأعمق مما قد يتصور ومما كان يتخيل وأنه ليدل

على حقيقة كاملة كبرى وأى حقيقة تلك التى يدل عليها خلق الإنسان !! ..

أليس من الغريب أنه حتى الآن لا يمكن أن نضع التعريف الصحيح للإنسان الذى يتفق عليه العلماء إذ أنه يتكون من تخطيطات عديدة فهو جسد مادى حسبما يراه علماء التشريح وهو عبارة عن مجموعة إحساسات وانفعالات كما يعرفه علماء النفس وهو خليط متقن من مواد كيماوية متعددة تكون سوائل وأجهزة الجسم كما يدرسه علماء وظائف الأعضاء وهو الكائن الحى المشابه للحيوان فى أنه يأخذ الغذاء من مواد عضوية وغير عضوية فيحولها إلى طاقة كما يراه علماء التغذية وهو هذا المجهول الذى لم تعرف بعد حقيقته ؛ فالجسد الذى نراه إلى فناء ظاهرى أما الجزء الآخر الباقى وهو الروح فكل ما يعرف عنها لا يزيدها إلا غموضا ويزيدنا بها جهلا ؛ ويقول الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه (الإنسان هذا المجهول) تحت عنوان (جهلنا بأنفسنا) « ان الإنسانية قد بذلت جهوداً جبارة كى تعرف نفسها ومع أننا نملك كنوز الملاحظة التى جمعها العلماء والفلاسفة والشعراء والمتصوفة فنحن لاندرك غير جوانب من الإنسان وأجزاء منه بل إن هذه الأجزاء

ليست سوى نتاج طرائقنا فى البحث . ليس كل منا غير موكب من الأشباح تسير وسطها الحقيقة التى لا يمكن معرفتها :
الواقع أن جهلنا مطبق فأكثر الأسئلة التى يطرحها من يدرس أفراد الإنسان بقيت دون جواب ولاتزال مناطق شاسعة من عالمنا الداخلى غير معلومة ، كيف تتوافق جزيئات المواد الكيماوية فيما بينها لتكوين الأعضاء المعقدة الانتقالية للخلايا ؟ كيف تحدد المورثات التى تحتوى عليها نواة البويضة المخصبة مميزات الفرد الذى ينبثق من هذه البويضة ؟ كيف تنتظم الخلايا من تلقاء نفسها فى جماعات هى الأنسجة والأعضاء ؟ وكأنها أشبه شىء بالنمل والنحل تعرف مقدما ما هو الدور الذى ينبغى لها أن تلعبه فى حياة الجماعة . ولكننا نجهل الآيات التى تعينها على بناء كائن عضوى معقد بسيط معاً . ما هى طبيعة عمر الكائن الإنسانى؟ .. والزمن السيكولوجى ؟ نحن نعرف أننا نتكون من أنسجة وأعضاء وسوائل وشعور ولكن العلاقات التى تربط بين الشعور والخلايا المخية ما زالت سراً غامضاً .. بل إننا نجهل فسيولوجية هذه الخلايا .. إلى أى حد يمكن أن يتغير الكائن الحى بفعل الإرادة ؟ .. كيف تؤثر حالة الأعضاء فى النفس ؟ .. على أى نحو يمكن أن تتغير المميزات العضوية والعقلية التى يرثها كل منا عن أبويه

بفعل نمط الحياة والمواد الكيماوية فى الأغذية والمناخ والنظام والعادات الفسيولوجية والنفسية ؟ .. نحن بعيدون عن معرفة العلاقات التى توجد بين نمو الهيكل العظمى والعضلات والأعضاء وبين نمو النشاط العقلى والروحى . كذلك نحن لا نعرف ما الذى يسبب توازن الجهاز العصبى ومقاومة التعب والأمراض ونحن نجهل كذلك كيف نرقى بالحس الخلقى والحكم والجرأة ما هى الأهمية النسبية لأوجه النشاط الفكرى والخلقى والفنى والصوفى ؟ . ما مدلول الشعور بالجمال والتدين ؟ .. أى شكل من أشكال الطاقة هو المسئول عن التواصل عن بعد ؟ .. توجد بكل تأكيد بعض عوامل فسيولوجية ونفسية تسبب هناء كل واحد منا أو شقاءه ولكنها مجهولة ويتعذر علينا أن نخلق المقدرة على السعادة ونحن لانعرف بعد أى وسط يهيئ خير نمو للإنسان المتحضر هل يمكن القضاء على النضال والجهد والألم فى كياننا الفسيولوجى والنفسى ؟ .. وما السبيل إلى تحاشى انحطاط الأفراد فى حضارتنا الحديثة ؟ .. ويمكن أن يوجه عدد كبير من الأسئلة الأخرى عن الموضوعات التى تعنينا وستبقى هذه الأسئلة بدون جواب هى الأخرى . من المؤكد تماماً أن الجهد الذى بذلته كافة العلوم التى تبحث فى الإنسان قد ظل ناقصاً وأن معرفتنا لأنفسنا

مازالت جد ناقصة » وهل بعد ذلك القول ما يمكن أن يدعيه أى إنسان أن العلم قد وصل فى دراسته للإنسان إلى ما يحيط اللثام عن بعض أسراره ؟ .. وبالرغم من ذلك فإن الإنسان بسيط جداً إلى درجة عجيبة فهو يتكون من خلية واحدة هذه الخلية تنقسم إلى خليتين أخرتين وهاتان منقسمتان بدورهما وهكذا يستمر الانقسام ويتكون عن ذلك الإنسان فإذا به يصبح كائناً معقداً .. عجيب التكوين .. إذ تكون هذه الخلايا المتشابه تمام التشابه الأعضاء المختلفة بطريقة عجيبة يقول عنها الدكتور ألكسيس كاريل : « إن العضو فى جسم الإنسان ينمو بالطريقة التى كنا نسمعها فى القصص التى تروى لنا ونحن أطفال عن الجن والعفاريت ، إذ أن الخلايا تتصرف وكأنها تعرف مقدماً ماذا سيكون عليه الغد ؟ » . . فيا ترى هل للإنسان منا دخل فى ذلك ؟ .. بل هل يعلم الإنسان ويحس فى داخل نفسه بذلك ؟ ..

وإذا ما تمت هذه الأعضاء وتكون الجنين الذى يصبح بعد ذلك إنساناً أدهش العلماء وحير البحاث إذ أنه فى إمكانه أن يقاوم آثار أى اختلال يطرأ عليه وأن يحقق من جديد ما يجعله متوازناً عضوياً حتى أن أحد كبار علماء وظائف الأعضاء وهو الدكتور كانون يقول : « إن أعضاء الجسم

تأتى من العمليات التكييفية التعديلية ما يعرف بالصد والتعويض والإنابة والكف والتكييس والتجمد . ففى الجسم مواد كيمياوية تفرزها بعض أعضاء الجسم من غدد وأغشية من شأنها أن تحول دون اختلال النسب الثابتة لبعض المواد العضوية كالسكر والمواد الحمضية والبولينا وتعرف هذه المواد الكيمياوية بالعوامل الصادة كما أنه فى حالة قصور أحد الأعضاء عن القيام بوظيفته يقوم عضو آخر بقسط كبير من عمله حتى فى حالة الإصابات الدماغية التى تضطرب بها العمليات الحسية والحركية وبعض العمليات العقلية نجد بعد مدة زوال هذه الاضطرابات إلى حد ما ، لقد قامت بعض مناطق الدماغ السليمة بعمل تلك التى أفسدها المرض وهذا من ضمن أعمال التعويض والإنابة . أما عملية الكف فقد لوحظ أنه لا تقتصر وظيفة الجهاز العصبى على إثارة الحركة وتنبيهها بل إنها تشمل أيضاً عملية كف الحركة ومنعها وتنظيمها فإنه إذا ثار الجهاز العصبى لشىء ما فكيف يهدأ وتنتهى إثارته ؟ . إن هناك إجراءات يتخذها الجسم لكف هذا الجهاز عن الحركة وإلا لو ظل الجهاز العصبى على ثورته لاختل الجسم ومات . أما التكييس فإنه يحدث أن تدخل الجسم ميكروبات سامة فى بعض الأنسجة وهى من نوع غريب لم يتعود الجسم

على مقاومته فلا يترك الجسم الأمر للظروف بل نجد أن من الأنسجة ما تفرز مواداً كلسية حول الميكروبات تحاصره فيها وتحد من نشاطه فتجمد حركته وتشل عمله بالتكييس الذى قامت به . لذلك لم يكن عجيباً أن يصدر الدكتور كانون كتابا فيطلق عليه (حكمة البدن) يثبت فيه أن أعضاء الجسم تتصرف وكأنها مزودة بعقل وحكمة وتدبير وعلم يفوق ما يعرفه البشر .

ومن عجائب جسم الإنسان أنه وهو جنين فى رحم أمه يعيش بطريقة تغاير تماماً طريقة معيشته بعد الولادة إذ أنه وهو جنين يتغذى بغير فمه ويعيش فى جو بدون هواء ولا شمس ولا أضواء ثم إذا ما ولد تغيرت طريقة حياته ولو حاول أن يجرب حياة كتلك التى كان يحياها لهلك وفنى تماماً . فهل للإنسان دخل فى ذلك بل هل يعى وهو جنين ما يفعله؟.. وهل هى تصرفاته حتى نقول إنه يوائم وسطه الذى وجد نفسه فيه ؟ ..

وأجهزة الجسم التى نراها فى أنفسنا ، تلك الأجهزة العديدة بل أى جزء منها بل الخلية الواحدة .. حتى تلك التى تصنع الشعر تتصرف بعجب فهى خلية واحدة تنتج

شعراً بطول مخصوص على حسب مكانها فى الجسم .. هل هى فى الرأس أم فى الحاجب ؟ فى لحية أو شارب ؟ وهل هى لسيدة أم لرجل ؟ . فإن الأمر يختلف من مكان إلى آخر ومن جنس إلى غيره .. أى معجزة هذه ؟ .. وهل يحتاج الأمر إلى دليل بعد ؟ ..

هذا بالنسبة للأحياء التى تسكن هذا الكوكب الذى نعيش فيه فيا ترى كيف يكون حال أحياء الكواكب الأخرى؟ .. وهل يشابه الإنسان هناك إنسان الأرض ؟ .. وأى أعاجيب تلك التى سنراها فيه ؟ .

لقد كان المعتقد إلى وقت قريب أن الحياة إنما تتميز بها الكرة الأرضية وأن ما نراه من حرارة فى الشمس وبرودة فى القمر يمنع قيام الحياة فى السماء إلى أن اتسعت آفاق الفكر وتعددت دوائر البحث فرأى العلم أنه ليس هناك ما يمنع من قيام حياة وأحياء فى أية ظروف فإذا كانت الحياة كما عهدها الإنسان فى نفسه تتم فى درجات معينة وفى هواء محدد النسب فإن هناك حياة أخرى فى الأحياء التى تعيش تحت الماء إذا أخرجت إلى الهواء الذى لابد أن يعيش فيه الإنسان فإنها تموت فوراً فإن أجهزة تنفسها خلقت لتعيش فى الماء وبعيداً عن الهواء فهل هناك ما يمنع من قيام حياة بصورة ما

فى النجوم المشتعلة أو الكواكب الباردة ؟ . . تكون طبيعة هذه الحياة بما يتمشى مع الحرارة الشديدة أو البرودة القارسة ولماذا نعتقد أن الحياة لاتستقيم إلا فى الظروف التى نحيا فيها وقد وجدنا فى الأرض كائنات تعيش فى ظروف تخالفنا كالديدان تحت الأرض أو البكتريا اللاهوائية .. هذا هو منطق العلم .. وهو منطق سليم وهذا ما يميل إليه العلماء .. وهو رأى سديد فيا ترى كيف يكون شكل الكائن الحى تحت هذه الظروف ؟ . . إنه أمر لايسعف فيه الخيال . . ولكل منا شأنه فى أن يتخيل ما يشاء ..

وإذا ما تركنا هذه النجوم المشتعلة والكواكب الباردة .. وجدنا أن هناك كواكب تماثل الأرض تماماً فى كل نواحيها وأمورها .. أما عدد هذه الكواكب فإنه أمر عجيب .. فإن آخر تقدير لهذا العدد هو ما يقرره العلامة شابلى أستاذ الفلك بجامعة هارفارد بناء على أرقام وإحصاء ونسب وفى كل ذلك كان يميل إلى الأقل .. بل إلى أقل القليل .. يقول هذا العالم : إن عدد الشموس وهى النجوم المشتعلة التى أمكن رصدها بالأجهزة الخاصة بالرصد يبلغ مائة مليون مليون مليون شمس وهذه لاتعتبر شيئاً بالنسبة لما لم تستطع الأجهزة رصده لبعد هذه النجوم عن قدرة الأجهزة ولكن لنفرض أن هذا العدد

هو الموجود فقط وهو أقل القليل ويفترض هذا العالم أن نسبة عدد الشموس التى لها كواكب إلى التى ليس لها كواكب هى واحد فى الألف وهذا أقل ما يمكن افتراضه من النسب ، ويفترض كذلك أن عدد الكواكب التى على بعد من الشمس يساوى بعد أرضنا عن شمسها بنسبة هى كذلك واحد فى الألف من الكواكب السيارة حول شموسها وهى نسبة ضئيلة جداً ويفترض كذلك أن نسبة عدد الكواكب التى يمكن أن يكون لها غلاف جوى كغلاف الأرض تماماً هى واحد من ألف من النسبة السابقة ، وأن عدد تلك التى يحتمل أن يكون لها تربة صالحة وظروف مواتية للحياة كما نعهدها فى أرضنا هذه هى واحد إلى ألف من النسبة السابقة فتكون الخلاصة أن نسبة الكواكب التى تماثل أرضنا تماماً بالنسبة لمقومات الحياة التى نعرفها إلى عدد ما أمكن رصده فى المحيط الكونى هى كوكب واحد فى كل مليون مليون نجم وهذه نسبة ضئيلة تعمد العالم الفلكى تقديرها على أقل الفروض وأدناها ولابد أن تكون الحقيقة أكبر من ذلك .. هذه النسبة الضئيلة تعنى أن بالوجود مائة مليون كوكب تماثل ظروفها كلها ظروف الأرض التى نعيش عليها تماماً من كل ناحية من نواحى أسباب الحياة .. فهل تكون الحياة عليها تشابه تماماً الحياة على الأرض؟

وهل الإنسان الذى يعيش فيها يماثل تماماً من كل ناحية إنسان الأرض ؟ .. وإلى أى درجة يا ترى قد ارتقى وتعلم ؟ .. وإلى أى حد ارتفعت الحجب من على عينيه وقلبه فرأى وأحس ما نحاول نحن هنا أن نراه ونحس به .. من آيات .. كلها تشير .. إلى الحقيقة الكبرى فى هذا الوجود ....

والحياة تفيض بأسرار لايمكن أن تكون موضع الحصر ، ففى كل ناحية من نواحيها نجد مئات الأسرار التى يحتار العقل فى تفهم أسبابها ولكن تدل ظواهرها على أن كل ما يحدث فيها إنما هو مقصود ومؤكد وهدفه استمرار الحياة بصورة معينة وبقدر محدود وأن هذه الأسرار من العمق بحيث لايستطيع الإنسان أن يحيط إلا ببعض مظاهرها .. فكيف تم ؟ .. وأى قوة تلك التى تشرف على كل شىء فى الوجود .. فيسير فى طريق مرسوم وفقاً لخطة موضوعة . وتقدير دقيق ؟ ..

فمن الحقائق العلمية التى أوضحتها التجارب العملية أن جميع المواد إذا ما تجمدت زادت كثافتها فيما عدا الماء فإنه المادة الوحيدة التى تناقض هذه الحقيقة إذ تقل كثافتها عند التجميد لذلك فإن أى كمية من الماء تتجمد فى البحار عندما يشتد البرد فإنها تطفو على السطح مخالفة بذلك القوانين العلمية التى تحكم المواد الأخرى . وقد لايتصور الإنسان لأول وهلة

إذا كان شأن الماء كالمواد الأخرى كيف يكون الأمر ؟ . .
فعندما يغوص الجليد فى البحار فإنه لاسبيل إلى إذابته كما
تنخفض درجة حرارة المياه المحيطة به فتتجمد بالتالى . .
فكيف تعيش الأسماك وتحيا النباتات التى فى البحار ؟ . .
ولذلك فإن الجليد عندما يطفو على الماء تتوافر له فرص
الذوبان كما أنه يكون طبقة عازلة تحفظ درجة حرارة الماء
الذى تحته فلا تصل البرودة الشديدة إلى الأسماك . وهكذا
تختلف القوانين العلمية وتتناقض الحقائق المرئية وليس من
هدف إلا قيام الحياة وتدبير أمورها وتيسير سبلها .. أليس
فى ذلك الرد ، أبلغ الرد على من يقول بميكانيكية الحياة ؟ . .

والتطور الذى تتم به دورة الحياة فى بعض الكائنات لمن
أغرب ما يمكن أن يصادفه البشر . فهذه دودة القز مثلا
ونحن جميعاً نراها فى مراحلها المختلفة . فإذا ما اكتمل
نموها صامت عن الأكل حيث تبدأ فى إفراز حريرها الذى
تصنع به لنفسها شرنقة فلا تلبث أن تتكاثف حولها الخيوط
وتسد كل المنافذ عليها وينتهى بذلك طور من حياتها ولو فتحنا
هذه الشرنقة لنرى ما بداخلها لوجدنا عجباً وأى عجب . . .
كتلة هشة غامقة اللون غير منتظمة الشكل ليس فيها أى مظهر
من مظاهر الحياة ولاتدل إطلاقاً على أصلها ولاتحمل من

صفات الدودة ما يمكن أن يشير إلى أنها كانت دودة كتلك التى عرفناها ، وتظل هذه الشرنقة أسابيع على هذا الحال لا أكل ولا ماء ولا هواء ولا حياة .. وفجأة نجد أن الشرنقة قد انفتحت ثغرة فى جدارها وخرجت فراشة حية بيضاء اللون ناصعة جميلة الشكل إلى درجة كبيرة على نقيض ماكان فى الشرنقة ولا تمت إلى الدودة الأولى بصلة .. أى صلة وهذه الفراشة لاتأكل ولا تشرب إنما يتزاوج الذكر بالأنثى فتضع البيض الصغير الأصفر الذى لايلبث أن يفقس ويخرج دوداً يتغذى ليبدأ دورة مرة أخرى . . ليخرج الشرنقة . . فيا ترى هل للدودة دخل فيما قامت به . وهل لقوة علمية أو بشرية تستطيع أن تقوم بمثل هذا ؟ فهل يملك الإنسان إزاء ذلك إلا أن يعترف بالحقيقة الكبرى ؟ ..

ومن الملاحظات العجيبة فى الحياة أننا نرى أن الشرانق فى دود القز لابد أن تخرج فراشاً ذكوراً وإناثاً بنسبة متساوية .. حتى أن الأطفال عندما يربون دود القز وتكون فى علبة التربية شرنقتان لابد أن تخرج واحدة ذكر والأخرى أنثى .. وهكذا .. بينما نجد مثلا فى مملكة النحل يفقس البيض عن بضعة ذكور وآلاف الشغالة وملكة واحدة ولقد كانت نسبة الذكور إلى الإناث فى مختلف الكائنات الحية موضع

دراسات عديدة وقد وصل العلم فيها إلى ما يثير العجب إذ وجد أن النسبة الجنسية للكائن الحى وهى عبارة عن عدد الذكور المقابل لكل مائة أنثى من النوع الواحد دائماً محفوظة وأنها تختلف من صنف إلى آخر ووجود هذا الاختلاف إنما يشير إلى هيمنة نظام عام رسم وقدر وحدد فنى الإنسان نرى أن النسبة هى ١٠٣ إلى ١٠٧ ذكر لكل مائة أنثى دواماً بينما هى فى الخيول ٩٨ مهراً لكل مائة فرس وفى الخنازير ١١٢ ذكراً لكل مائة أنثى وفى الأغنام ٩٧ والدجاج ٩٣ وهى نسبة ثابتة ثبوتاً تاماً ودائماً ويلاحظ أنه عندما تقل الحاجة إلى الذكور تنخفض النسبة انخفاضاً شديداً فى الكائن ..

وإذا رجعنا بالبحث إلى الوراء لنصل إلى الكائن الأول من الحيوان والإنسان . لوجدنا أنه لابد أن يكون أفراد الجيل الأول ذكراً وأنثى .. فإذا كانت الصدفة هى الخلاقة فكيف لاتخلق ذكرين أو أنثيين ؟ .. وإذا كانت الطبيعة هى الخلاقة فكيف تختلف الطبيعة فى خلقها فتخلق فردين مختلفين ؟ .. ثم ينتج الجيل الأول جيلا به الذكور والإناث .. وتستمر الأجيال ولابد من وجود الذكور والإناث .. فكيف يمكن أن يعقل إنساناً أن تكون الصدفة أو الطبيعة وراء ذلك ؟ .. لو أن جيلا واحداً أنتج ذكوراً .. أو إناثاً .. لانتهت

الحياة .. فكيف تختلف الأجيال .. بل كيف تظل النسبة ثابتة على مر الأزمان ؟ .. أن خلق الإنسان الأول .. يحمل الدليل الذى لايبارى على الحقيقة الكبرى .. فليس الذكر كالأنثى .. حتى يمكن أن يثير ذلك أية شبهة ولو صغيرة فى الخلق .. فنقول أن تحوراً أو تطوراً حدث .. فإن الكائن الأول الذى عاش فى ظروف واحدة مع غيره .. وفى بيئة واحدة .. وفى جو واحد .. وبطعام واحد .. لايمكن أن يكون هناك من سبب لاختلاف الذكر عن الأنثى إلا إذا كان الخلق مقصوداً والاختلاف متعمداً .. .. فما أبعد الفرق بين الذكر والأنثى .. وما أوسع الاختلاف بينهما .. فلقد أثبت علم وظائف الأعضاء أن اختلاف الرجل عن المرأة ليس فى المظهر الخارجى — وما أكثره — وإنما فى كافة النواحى والمناشط .. فكلنا نرى بالعين المجردة مظاهر الاختلاف الكثيرة فى الشكل الخارجى بين الرجل والمرأة أما فى داخل الجسم فيقول الدكتور الكسيس كاريل « لا ترجع الفوارق القائمة بين الرجل والمرأة إلى اختلاف شكل الأعضاء التناسلية عند كل منهما كشكل الرحم ونمو الثديين أو غير ذلك فحسب وإنما يرجع إلى سبب أعمق كثيراً إذ الواقع أن المرأة تختلف عن الرجل جد الاختلاف فكل خلية من

خلايا جسمها تحمل طابع جنسها وهذا أيضاً شأن أجهزتها العضوية كلها » كما ثبت أن هناك اختلاف شديد بين الرجل والأنثى فى الناحية السيكولوجية والعقلية والعاطفية كما قدر ذلك الأطباء المختصون . . ألا يكون بذلك الخلق متعمداً ومقصوداً وهادفاً ؟ ..

كان المعتقد قديماً أن الكائنات الحية كلها إنما نتجت من الجماد وكان من ضمن أدلتهم ما يجدونه من تكون الديدان فى الأوانى التى يحفظ فيها الجبن القديم بالرغم من إحكام غلق هذه الأوانى الأمر الذى يثير فيهم شبهة خلق هذا الدود من الجبن وهو مادة غير حية ، وكذلك كانوا يجدون فأر الغيط وهو ينسلخ من الأرض ويظهر نصفه خارجها والآخر ما زال فى الطين كان يسود عندهم بذلك الاعتقاد أن الفأر إنما يخلق من الطين مباشرة إلى أن اتسعت آفاق العلوم واخترعت الأجهزة والآلات وأمكن متابعة عمليات تناسل الكائنات الحية وعندها ظهرت حقيقة واضحة علمية قررها لامارك فى منطوقه القائل بأن الكائنات الحية إنما تنشأ من كائنات حية مثلها وسابقة لها فى الوجود ثم وصل العلم إلى حقيقة أخرى فقد كان المعروف أن أحد الجنسين وهو الذكر يقوم بالبذرة وأن الجنس الآخر وهو الأنثى إنما يقوم مقام

التربة التى تنمو فيها هذه البذرة ، إلا أن الحقائق العلمية أثبتت أن كلا من الذكر والأنثى يمد الابن بقدر متساو من الصفات ، فإن الخلية الذكرية عندما تلقح الخلية الأنثى تتكون خلية نصف مكوناتها من الأب والنصف من الأم وبذلك يورث كل من الأب والأم نصف الصفات للابن .. هذه الصفات تشمل الظاهرية كالشكل والطول والقصر ووضع أعضاء الجسم المختلفة والفسيولوجية التى تخص طول العمر ومناعة الجسم للأمراض والصلع والسيكولوجية الخاصة بالنفس كالمزاج الهادئ أو المنفعل والذكاء وضعف العقل والجنون . وبالرغم من أن ذلك يسبب الحقيقة التى كان يقول بها العلم وهى أن الكائن الحى يميل إلى إيجاد الشبيه به وأن توريث الصفات من الأب والأم على قدر المساواة لأولادهما وأن هذه العوامل المختلفة تحملها كر وموسومات محدودة العدد فى كل خلية ، وأن ذلك لابد أن ينتج أفراداً متشابهة أو على الأقل مجموعات من أفراد على حسب الكروموسومات الموجودة فى الكائنات إلا أننا نجد أنه لم يتشابه فردان إطلاقاً منذ قامت الخليقة حتى اليوم وإلى أن تنتهى الدنيا .. فأى سر يكمن فى هذا وأى قوة مدبرة حكيمة تدخلت فى ذلك إذ أن هذا لايتمشى والقوانين العلمية التى تحكم الوراثة ، وهل

يمكن أن نتصور لو أن العالم اتفقت أشكال أفراده أو حتى تشابهت بعض أفراده .. كيف كانت تكون الحياة ؟ .. إنها أمور عجيبة تتم فى الحياة لا دخل للإنسان ولا لكائن آخر فيها وليست هى من قبيل الصدفة . . لأنها هادفة قاصدة كما أنها ليست مما تخضع لميكانيكية تتم بلا رقيب .. لأنها تسير وفقاً لقانون معين فى جزء ووفقاً لقانون معارض فى جزء آخر .. واختلاف القوانين التى تحكم أمورها تتم به الحياة .. ولو اتفقت هذه القوانين لوقفت عجلة الحياة ..

ومما أدهش العلماء والبحاث ما لاحظوه من أمر التربة الزراعية فإن زراعة الأرض ملايين السنين التى مرت فى عمر الأرض أو آلاف السنين التى عرف الإنسان فيها تاريخها أو حتى عشرات السنين التى زرعها الجيل الواحد تكفى كفاية تامة لأن يستنزف النبات خصوبة الأرض إذ يحصل النبات على عناصر التربة ليكون منها غذاؤه فكيف تستمر الأرض صالحة للزراعة ؟ .. وكيف يظل النبات ينمو إلى وقتنا هذا ؟ .. لقد وضع العلماء عدة نظريات لذلك وكانت كلها ترجع الأمر إلى تدخل الإنسان بالتسميد والحرث وغير ذلك ولكن عرف أن التسميد يتم بوضع عنصر أو أكثر فقط إلى عنصرين أو ثلاثة وأن الحرث إنما هو تعريض

الأرض للشمس ولكن خصوبة الأرض إنما تعنى وجود عناصر عديدةأكثر مما توضع بالتسميد أضعافاً مضاعفة كما أن هذه العناصر لا دخل للشمس بها فكيف إذا يتم الأمر ..؟ لقد جاء الرأى الصحيح عندما شوهد أن الأرض التى تنقص خصوبتها بسبب استنزاف عناصرها يلاحظ فيها زيادة نمو الحشائش والأعشاب والشجيرات من أنواع خاصة حتى أصبح نمو هذه الحشائش وأشباهها علامة مميزة وأكيدة على ضعف الأرض وهذه النباتات التى تنمو بلا تدخل من الإنسان وتكون غذاءها من الهواء والماء وبعض أملاح التربة تتحلل بعد موتها فى الأرض لتعيد الخصوبة التامة إليها من جديد .. وتعمد بعض البلاد إلى ترك الأرض الضعيفة بلا زراعة لمدة تتراوح بين عام إلى عشرين على حسب درجة ضعفها وفى هذه المدة تنمو الحشائش والنباتات وتموت وينمو غيرها وهكذا فإذا بالأرض بعد هذه المدة قد عاد إليها خصبها وأصبحت قوية كأنها لم تزرع بعد .. فهل للإنسان أو للأرض نفسها دخل فى ذلك ؟ .. فإذا كان لا .. فكيف يتم هذا ؟ .. وألا يشير ذلك إلى قوة مهيمنة لاتغفل عن شىء مهما دق .. ولا تترك أمراً مهما صغر .. فى هذا الوجود .. ؟ ..

إن الأمثلة لعديدة بل إنها لاتقف عند حد .. فكل ما يتم

حولنا بل وفى أنفسنا من شئون الحياة ليحمل فى طياته أسراراً وأى أسرار ويحكى لنا أصدق الحديث . ويحمل إلينا أروع الآيات ..

وهكذا السماء وما فيها .. والأرض وما عليها .. والحياة وما يتم لها . .

هذا الوجود الذى نعيش فيه ..

أى حكمة تنطق بها كلماته .. ؟ . .

وأى حقيقة تشير إليها آياته ؟ ..

إن كلمات الوجود وآياته إنما تؤكد الحقيقة .. وأى حقيقة..

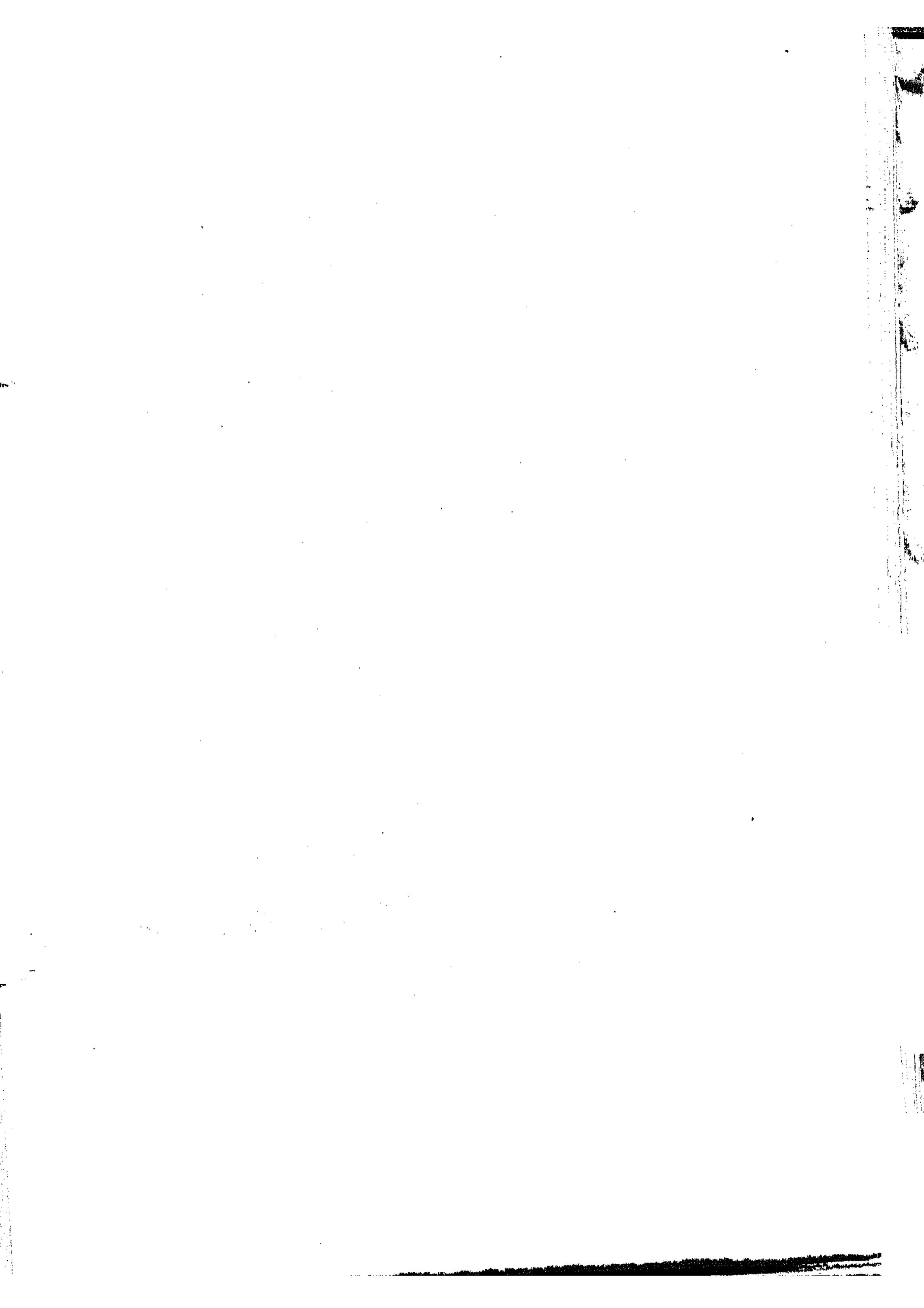
إنها تدل على الحقيقة الكبرى ...

الله ...

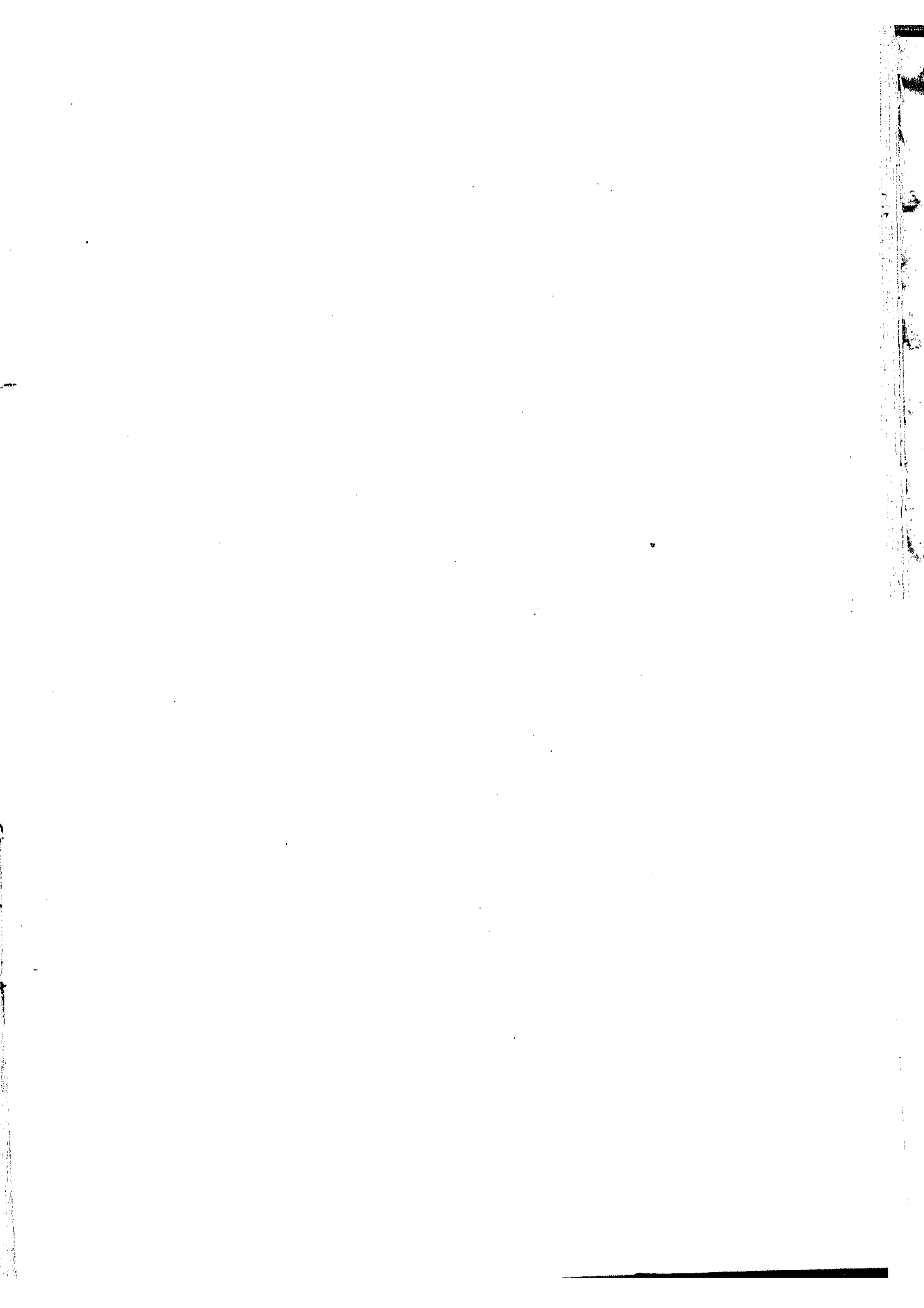
سبحانه وتعالى ...

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ .

« قرآن كريم ٦٢ سورة الحج »



من أين ؟ ...
وإلى أين ؟ ..



من أين ؟ .

وإلى أين ؟ .

من أين أتينا ؟ .. وكيف كنا ؟ ..

وإلى أين نذهب .. وكيف نكون ؟ ..

هذه الأسئلة وما يدور حولها كانت ومازالت وستظل أهم ما تدور حوله أبحاث الإنسان بل هى أهم ما يشغل باله منذ كان الإنسان ، فإن أول سطور أمكن للتاريخ أن يكتبها فى حياة البشرية كانت كلها تدور حول الحياة والموت .. كيف كنا .. قبل حياتنا هذه .. وهل كنا فى حياة غيرها ..؟ وأين نذهب بعد مماتنا .. ؟ .. وهل من عدم وجدنا ؟ .. ثم إلى عدم نذهب .. أم فى حياة كنا .. ثم إلى حياة أخرى نصير ؟ ..

لقد بدأ الإنسان يقيناً فى دراسة الحياة والموت منذ أن لاحظ أول موت وقع لغيره .. فلابد إذاً أن تكون هذه الأبحاث قد بدأت ببداية تاريخ الإنسان على الأرض بعد أن حجبت ستر المادة عن عقله ما قد يكون توارثه عن أجداده الأول الذين قد يكونوا عرفوا هذه الحقائق عن الجد الأول بعد أن شاء الله فعلم آدم ما لم يكن تعلمه الملائكة ..

فقد عرف أن الإنسان البدائى فزع فزعاً شديداً حين شهد موت غيره حتى إنه دفن معه ألوان الطعام وسائر حاجيات الميت حتى لايعود إلى داره ليأخذ منها شيئاً فيصب على الأحياء لعنته التى سببت موته ، بل كان متبعاً فى بعض البلدان أن الإنسان البدائى كان يخرج جثة الميت من خلال ثقب فى حائط الدار لا من الباب ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة لكى تنسى الروح أين مدخل الدار فلا تعاوده أبداً .. وهكذا يثبت ذلك أن الإنسان البدائى كان يعلم تماماً أن للإنسان روح باقية بعد موت جسمه ..

وهذه قبور الفراعنة روعيت فيها الضخامة والمتانة حفظاً لأجسادهم من السرقة والنهب والعبث كما أنهم حنطوا هذه الأجساد لتبقى كاملة سليمة ونقشوا صورهم على التوابيت وحفروا أشكالهم على الحجر وأقاموا التماثيل تشابه أجسامهم وذلك حتى لاتضل الروح عن جسدها ووضعوا فى القبور كل ما يمكن أن يستعمله الميت من أنواع الطعام ومختلف الأدوات وأن ذلك ليدل دلالة أكيدة ويؤكد تأكيداً تاماً واضحاً أن عقيدتهم التى لاشك فيها أن هناك رجعة إلى الحياة بعد الموت .. أما متى هذه الرجعة ؟ .. هل هى فور الموت ؟ أم بعد مدة طالت أم قصرت ؟ فلم تشر إلى ذلك

مخطوطاتهم ولم تعرف معتقداتهم فيها على وجه الدقة إلا أن الثابت أن ما على جدر المقابر من صور ورموز وكتابات هيروغليفية تؤكد حقيقة لاشك فيها يؤمنون بها وهى أن فى الآخرة حسابا وعقابا وثوابا وأن فى هذا اليوم سيكون الأموات فى حالة حياة حيث يناقشون ويحاسبون ثم ينالون جزاءهم الذى يستحقون .

وما الأهرام التى نراها ومازالت باقية حتى الآن إلا قبوراً بالغ أصحابها من الفراعنة فى العناية بها حتى يطمئنوا إلى أنها تجعل أجسادهم بعيدة عن أى انتهاك أو عبث وحتى يُضَمنوها ما يحتاج إليه الميت ويحتفظوا فيها بأهم ماكان يستعمله صاحب الهرم فى حياته .. وكذلك كانت تنقش صلواتهم وأدعياتهم الدينية حتى لاينساها الميت وإذا نسيها فإنه إذا ما اطلع عليها تذكرها ورددها .

ولم يصل الفراعنة إلى هذه العقيدة عن طريق الصدفة أو على سبيل إشاعة الطمأنينة فى نفوسهم كما يعتقد البعض ولكن لابد أن هذا الأمر كان من ضمن دراساتهم وأبحاثهم وأنهم وصلوا فيها إلى ما رأيناه مخطوطاً بأيديهم على قبورهم وأن هذه الدراسات كانت على مستوى يجب علينا ألا نحط من قدره أو نقلل من شأنه ، فإن الآثار الباقية التى نراها نحن أهل

هذا العصر لتحمل إلينا صورة واضحة جلية لما كان عليه علم هؤلاء الفراعنة وقوتهم فيقول هيردوت المؤرخ العالمى عن خوفو صاحب الهرم الأكبر ما نصه « لقد سخر المصريين لخدمته فعين طائفة منهم لقطع الأحجار من المحاجر فى جبال العرب ونقلها إلى النيل وأمر طائفة أخرى باستقبال الحجارة بعد أن تنقل فى النهر على سفن وكان يعمل منهم مائة ألف فى كل نوبة وكل نوبة تعمل ثلاثة أشهر وكل هؤلاء أنشأوا فى عشر سنين الطريق الذى كانت تنقل عليه الحجارة التى استعملت فى بناء الهرم الأكبر » .

أما الهرم نفسه .. فما زال يرتفع عالياً إلى السماء وقد انقضى عليه آلاف السنين ومازال يحتفظ بأكثر من سر فهما حاولت الأبحاث العلمية الحديثة أن تجد تفسيراً معقولا لكيفية بناء هذا الهرم . . وجدت أنها إنما تزيد سره عمقاً . . فكل ما افترضته هذه الأبحاث وجدت ردوداً قاطعة بعدم صحتها .. فكيف ارتفعت الأحجار وقد بلغت فى هرم خوفو مليونين ونصف مليون من الكتل الحجرية الضخمة التى يبلغ وزن الواحدة منها مائة وخمسين طناً فى بعض الإحيان .. كيف تصل مثل هذه الأحجار إلى القمة ؟ .. بل كيف كان يقضى العمال الذين قيل إنهم قاموا ببنائه وهم مئات الألوف لمدة عشرات السنين

حاجاتهم الطبيعية ؟ .. والمعروف أن هذا المكان الذى بنيت فيه الأهرام إنما هو من الأماكن المقدسة التى يستحيل أن يقضى العمال حاجاتهم بجواره . . أن القول بأنهم كانوا يتركون العمل ويتوجهون إلى النيل يقضون فيه هذه الحاجة فإنه أمر مرفوض فهل يمكن أن يتعطل العمل بالقدر الذى يذهب العامل فيه إلى النهر وهو بعيد إذ لابد أن يكون بعيداً عن المكان المقدس وإلا لا يمكن قضاء الحاجة فيه ... وكم مرة سيضطر العامل إلى ذلك كل يوم ؟ ..

إن كل ما فى الهرم يعتبر عجباً وغريباً حتى الملاط الذى وضع بين الأحجار فيقول العالم بترى فى كتابه (فنون قدماء المصريين) ما نصه « استعمل الملاط باستمرار فى بناء الأهرام كفرش لملء الوصلات وتسوية الثقوب الموجودة فى الأوجه وهذا الملاط المستعمل خليط من الحجر العادى والجبس وكربونات الجير وكبريتاته ، أما كيف كانوا يضعون هذا الملاط فى وصلات غلاف الهرم فلا يزال لغزاً مجهولا » .. بل استواء أوجه الهرم التى يقول فيها العالم مرتن ادجار عند ما زار الهرم الأكبر ليدرس الطريقة التى اتبعت فى بنائه « حينما وقفت فى النهاية الشرقية لخط الحجارة المغلفة ونظرت إلى الأوجه العليا والأمامية للصف الأسفل

الطويل الممتد أمامى مسافة ٨٦ قدماً وأجلت النظر فى الجهات الأربعة لهذه الأوجه أدهشنى ذلك الاستواء العجيب والمظهر الأملس الصقيل فى كل من هذه الأوجه وأعجبت بتلك المهارة الفائقة التى تحلى بها بناة الهرم الأقدمون ولا أغالى إن قلت إن السطح العلوى من حيث الاعتدال والانتظام والتسوية كأنما هو سطح منضدة البلياردو » . ويقول المهندس دافدسون فى كتابه (هرم الجيزة الأكبر) ما نصه « إذا علمت الخاصية الإضافية لنسب الهرم وأوجهه الأربعة فإنه يتضح أن هذه النسب إنما اختيرت عن علم ومعرفة فإذا أخذنا مقطعاً رأسياً قائماً للهرم وجدنا أن ضلع القاعدة ليس مساوياً فقط لطول قوس مربع محيط الدائرة التى نصف قطرها يساوى ارتفاع الهرم بل إن مساحة مقطع الهرم تساوى مساحة ربع الدائرة وتلك بطبيعة الحال خاصية نتجت من النسب المختارة وهى خاصية ليست معروفة جد المعرفة فى أيامنا الحاضرة وتدل هذه النقط وغيرها بخصوص الهرم الأكبر على أن بناته إذ ذاك كانوا نابغين فى العلوم الرياضية العالية » .. لقد كتب عن الهرم الأكبر فى كل بلاد العالم بمختلف لغاتها وتضاربت الآراء حول طريقة هذا البناء وكيف تم .. ومن ضمن ما قيل فى ذلك إنه لما كان من المستحيل القول إن

الهرم الأكبر إنما أقامته قوة بشرية مثل القوة المعروفة لدينا فقد يكون الفراعنة قد سخروا قوى خفية كالسحر أوالجن أو المردة فقاموا بهذا العمل وبديهى أنه لايمكن الأخذ بهذا القول إنما يستفاد منه أنه يحمل فى معناه دلالة على عجز العلم عن تفسير بناء الهرم إلا أن قوة ضخمة كانت تعمل عملا شاقاً مستمراً واستخدمت من الآلات والأجهزة ما يضارع ما نعرفه حالياً إن لم يزد وكانوا على علم بهندسة البناء وفنون التخطيط بما يؤكد أن العلوم عند الفراعنة كانت متقدمة تقدماً عجيباً بحيث عجزنا نحن عن معرفة أسرارها التى يحمل طابعها هذا الهرم .

وكذلك مما يثبت علو شأن الفراعنة فى العلوم تحنيطهم لأجسادهم بطريقة يجهلها العلم الحديث حتى الآن فما زالت أحشاء بعض الفراعنة فى قبورها سليمة كأنها انتزعت من الجسد حالا وقد وزعت بعض أجزاء منها على مختلف الدول لدراسة هذه الوسائل للوقوف على سرها ومازال العلم يعجز حتى الآن عن أن يدل على المواد التى استخدمت فى التحنيط . وكذلك الألوان الناطقة والنقوش الزاهية على جدر المعابد وكأنه تم تلوينها من يوم أو بعض يوم بالرغم

من أنه قد انقضى عليها آلاف السنين ومازالت فى أتم بهجتها وجمالها ووضوحها .

وأيضاً ما أشيع عن لعنة الفراعنة التى تصيب كل من يعبث بقبورهم ، فهذا مكتشف مقبرة توت عنخ آمون يجد مكتوباً على القبر أن اللعنة ستصيب من يقتحم حرمة هذا القبر فإذا به يشعر بالتهاب فى وجهه فيخيل إليه أن باعوضة لدغته فلا يلبث بعد ألم شديد شعر به فى مكان الالتهاب أن يموت بعلة مجهولة وانسدل ستار كثيف على هذا الحادث الذى اعترف فيه العالم بأجمعه أن اللعنة أصابت هذا المكتشف ، وأخيراً يحاول العلماء أن يربطوا بين هذا الالتهاب الذى شعر به المكتشف ورقائق الرصاص التى وجدت تغلف التابوت بالرغم من أن الرصاص يعتبر من المعادن الرخيصة جداً ولا يتناسب مع كميات الذهب والفضة التى وجدت وقدرت بملايين الجنيهات فى القبر .. وقد لا يعتبر هذا شيئاً فى نظر الفاحص العادى إنما لو عرفنا أن الرصاص من المواد العازلة للإشعاع الذرى وأن دخول الهواء عند فتح المقبرة قد يكون سبب تفاعلا ذرياً انطلقت به أشعة أصابت أول من دخل وسواء أكان ذلك صحيحاً أم أنها عبارة عن عملية كيماوية أطلقت ما سبب موت الرجل أو أنها لسبب مجهول حتى

الآن فحسب هذا أنه يلقى بضوء على قدر ما كان عليه الفراعنة من علوم .

هؤلاء الفراعنة وهم أصحاب حضارة وعلوم ومعارف لابد أنه كان من بين ما اهتموا به الموت والجسد وما يكون عليه بعد الموت ودليل اهتمامهم هذه القبور التى تفننوا فى إقامتها وتغالوا فى ضخامتها لقد أوصلتهم دراساتهم وأبحاثهم إلى أن للإنسان روح تبقى بعد ظاهرة الموت وأنهم إذا جاءوا إلى أوزير مبرئين من جميع الذنوب سمح لهم أن يعيشوا مخلدين فى (حقل الفيضان السعيد) أى فى حدائق السماء وإلا عاشوا فى مكان آخر معذبين ولذلك كانت لهم أدعية وصلوات و تعاويذ لينالوا بها رضاء أوزير وكان أشهرها تعويذة (الاعتراف السلبي) التى كانت تدفن مع الجسم ونص هذه التعويذة أو الأدعية (سلام عليك أيها الإله الأعظم رب الصدق والعدالة لقد وقفت أمامك يا رب وجئ بى لكى أشاهد ما لديك من جمال ، أحمل إليك الصدق إنى لم أظلم الناس لم أظلم الفقراء لم أفرض على رجل حر عملا أكثر مما فرضه هو على نفسه ، لم أهمل ، ولم أرتكب ما تبغضه الآلهة ولم أكن سبباً فى أن يسىء السيد معاملة عبده ولم أمت إنساناً من الجوع ولم أبك أحداً ولم أقتل إنساناً ولم أخن أحداً ولم أنقص شيئاً من مؤونة الهيكل ولم

أتلف خبز الآلهة ولم أرتكب عملا شهوانياً داخل أسوار المعبد المقدسة ولم أكفر بالآلهة ولم أغش فى الميزان ولم أنتزع اللبن من أفواه الرضع ولم أصطد بالشباك طيور الآلهة أنا طاهر . أنا طاهر . أنا طاهر) .

وهذا سقراط حكيم زمانه وفيلسوف عصره والتى مازالت حكمه وفلسفته تتناقلها الألسن وتتداولها الأزمان يجيب على سؤال بشأن الحياة والموت فيقول « أما أن نخشى على الروح أن يبددها الهواء عند رحيلها لاسيما إن كانت الريح عاصفة فتفنى بذلك وتزول فخوف لايعتمد على أساس صحيح ولنسائل أنفسنا أى الأشياء يجوز عليه التحلل والفساد ؟ أهو البسيط أم المركب ؟ الثابت أم المتغير ؟ .. الفكرة الخفية أم المرئى المحسوس ؟ لاشك فى أن المركب المتغير المرئى هو ما يجوز عليه الفساد وذلك هو الجسم أما الروح وهى فكرة خالصة لاتعرف التغير والتبدل فلا يعتريها الفساد هذا إلى أن الروح تأمر والجسم يطيع وإذن فالروح شبيهة بالإلهى الخالد وأما الجسد فقريب من الزائل الفانى وهكذا مهما قلبت وجهة النظر رأيت الروح تصور القداسة والخلود والجسد يصور الخصائص البشرية الفانية ، فبينما ترى الجسد يتعرض للتحلل السريع ترى الروح تستعصى على الفساد أو تكاد تستعصى

عليه ومع ذلك فقد يمكن للجسد أن يصان بالتحنيط حيناً طويلا من الدهر فهل نحتمل للروح بعد ذلك أن تفنى وتتبعثر فى الهواء وهى فى طريقها إلى الله الخير الحكيم ؟ .. إن الروح بعد الموت تتجمع فى نفسها وترتفع عن الجسد وتتخلص من أدران الناس وسخفهم لتعيش مع الآلهة إلى الأبد أما الروح التى دنستها الصفات الجسدية وأثقلتها والتى لاتبصر إلا بأعين الحواس والتى انغمست فى الشهوات الجسدية فيتعذر عليها بعدئذ أن تتجرد .. مثل هذه الروح تخاف الدنو من العالم الأدنى فتتلكأ وتتثاقل حول المقابر » .

وفى كل عصر وفى كل زمان استمر الإنسان يواصل دراساته ينشد المعرفة ويبحث عن الحقيقة التى يريد أن يعرف عنها ما يجد فيها الإجابة على سؤال الإنسان الخالد ماذا وراء الموت ؟ . .

وكلما تقدمت العلوم وتمكن الإنسان عن طريق ما يكتشفه من أجهزة وآلات أن يحيط ببعض ما لم يكن يعرفه نجده يبحث فى أعماق نفسه لعله يعرف السر الذى يكمن وراء حياته ويعرف هذا المجهول الذى يسير إليه بعد الموت ، ولم تكن معرفة العلماء فى هذا الميدان إلا عن طريق الآراء الفلسفية والنظريات التى تعتمد على المنطق والعقل .

ولقد بدأت العلوم الروحية الحديثة بدراسة الظواهر غير العادية التى يلاحظها الإنسان على نفسه أوغيره ولايجد لها تفسيراً مادياً مقبولا كالأحلام التنبؤية التى يرى فيها النائم صورة معينة فتتحقق على وجه الدقة بعد وقت قصر أو طال وكذلك التخاطب عن بعد .. وفيه يتراسل الإنسان مع غيره على بعد وقراءة الأفكار والإيحاء وغير ذلك فكان أول مجهود علمى منظم هو ما قامت به جماعة من طلبة وخريجى جامعة اكسفورد بإنجلترا فى عام ١٨٧٤ ميلادية إذ أنشئت جمعية باسم جمعية الفازما تولوجيا أى جمعية علم الأشباح وبعد أربع سنوات قامت جمعية البحوث الروحية ببريطانيا من الجامعيين باكسفورد وكمبردج وضمت هذه الجمعية أساتذة وروادا فى علوم الطبيعة وما فوق الطبيعة . وفى عام ١٨٨٤ تشكلت فى أمريكا جمعية مشابهة لهذه الجمعية وانتشرت بعد ذلك الجمعيات الروحية التى تهدف إلى دراسة ما بعد الموت انتشاراً واسعاً فى كل بلاد العالم بل إنه كانت فى كل بلد أكثر من جمعية . ثم أنشىء مجلس جامعة لندن للبحث الروحى واجتمع لأول مرة فى يونية ١٩٣٤ فكان ذلك أول خطوة لاعتراف جامعات لندن رسمياً بهذا النوع من العلوم وفى عام ١٩٤٠ أنشئت تلمذة ودراسة للعلم الروحى فى جامعة

كمبردج في كلية ترنتى تحت إشراف الدكتور برود أستاذ الفلسفة فى كمبردج وحددت هذه الدراسة بأنها (فحص الظواهر العقلية أوالجسمانية التى تبدو لأول وهلة كأنها تشير أولا إلى وجود قوى معرفة أو فعل خارقة للعادة فى بنى الإنسان خلال حياتهم الراهنة وثانياً إلى بقاء عقل الإنسان بعد الموت الجسمانى) .

وفى عام ١٩٤١ أنشئت دراسة مماثلة فى الكلية الجديدة باكسفورد أما ألمانيا فقد اعترفت رسمياً بهذه الدراسة فى عام ١٩٣٧ وقررتها فى جامعة بون وجاء فى خطاب إنشائها أن الحكومة (أقرت إنشاء قسم للسيكولوجيا الشاذة ، والباراسيكولوجيا على أن يعنى هذا القسم بنوع خاص بجانب أعماله فى بحوثه بمسائل علم الصحة الاجتماعى من حيث الأمور المبهمة الخفية) . وانتشرت بعد ذلك الدراسات الرسمية فى الجامعات المختلفة بجوار المعاهد والكليات الخاصة التى أنشأها هواة لهذا العلم ومن يرغبون فى الوصول إلى حقيقة فيه ومن يريدون الاطمئنان على ما سمعوه فوجدنا المعهد الدولى ومعهد ماجنا بولس بلندن والمعهد الروحى بباريس والمعهد الروحى ومعمل البحث الأمريكى وكلية العلم الروحى بلندن وكلية الولايات المتحدة للعلوم والبحوث الروحية

ومعامل البحث فى الظواهر الروحية التى أنشأتها كارل كدول فى ميونخ والأستاذ شرودر فى برلين والدكتور هانز شرنج فى فينا وغير ذلك من المعاهد والمعامل التى لا سبيل إلى حصرها إذ أنها فى زيادة مستمرة . أما القائمين بمثل هذه الدراسات والأبحاث من غير أساتذة الجامعات فهم ممن لاسبيل إلى الطعن فيهم أوالانتقاص من ثقافتهم العلمية أومراكزهم الاجتماعية من أمثال سير وليم كروكس وسير أوليفر لودج وسير أرثر كونان دويل وسير وليم أوزلر أستاذ الطب الباطنى والدكتور كلفن أستاذ الجراحة والدكتور باورز من أساتذة الأمراض العصبية ، والطبيب العالمى الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة ، وكل هذه الأبحاث العلمية إنما تؤكد حقيقة أصبحت لاشك فيها بعد أن استخدمت الأجهزة المعقدة والأشعة تحت الحمراء ومئات الألوف من التجارب فى هذا السبيل . هذه الحقيقة تقرر وجود روح للإنسان قائمة بذاتها هذه الروح تنسلخ من الجسم عند موته وتباشر حياة أخرى تبدأ بلحظة الموت وأن الموت إنما هو تطور يصيب الإنسان يصبح فيه أكثر علما وإدراكاً وأشد إحساساً فيقول أرثر فندلاى (إن الإنسان مكون من جسم وروح فالجسم ما نراه والروح هى الجسم الأبدى الذى يطابق فى الشكل

الجسم المادى وهى التى تجعل هذا الجسم يتماسك وما الموت إلا انفصال الجسم الأثيرى عن الجسم المادى ويحمل هذا الجسم الأثيرى معه العقل أو النفس وعندئذ ننظر إلى الكون من وجهة نظر أثيرية لا وجهة مادية إذ يصبح العالم المادى أمراً تافهاً لايعتد به ولا يأبه له أما العالم الأثيرى وهو مادة فى صيغة أكثر تخلخلا فهو العالم الحقيقى إذ لا أثر للانحلال فيه وأما عقل الإنسان فشىء فوق الأثيرى ولا يستطيع أى إنسان وهو فى جسده المادى أن يشرح العقل أويفسره إنه لابد أن يكون شيئاً فوق الأثيرى لأنه يعمل بعد الموت ولن يتغير العقل بالموت ولكنه يؤدى وظائفه فى أوساط أخرى متغايرة وتكون النتيجة أن الأخلاق والذكرى هما اللذان يعتد بهما . إن العالم المادى انتقالى زائل والمادة التى نراها هى أتفه الأشياء فى الكون وإن تكن الآن تبدو لنا أهم ما فى الكون لأن الأشياء الوقتية هى التى نراها أما الأشياء الأبدية فهى التى لانستطيع أن نراها الآن ولكننا سنراها بالتطابق معها فيما بعد الموت) .

ويقول الدكتور ادوين فردريك باورز أستاذ الأمراض العصبية بأمريكا فى مقدمة كتاب له عن الروحية (هذا الكتاب تحد — تحد للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة

بما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية وحياتها بعد ذلك التغير الذى نسميه موتاً . فبعد خمس وثلاثين سنة قضيتها فى بحث الظواهر الروحية ودراستها من جميع وجوهها المختلفة اقتنعت حقاً بأن المعرفة التى حصلت عليها نتيجة لبحث هذه الأمور بحثاً هادئاً متأنى فيه تُقدَم للناس ما لعله يكون أهم تجريب عقلى وروحى يمكن لإنسان أن يحصل عليه خلال حياته الأرضية . والواقع أننى واثق بأنه يوجد الآن ملايين من الناس يعتقدون أن البرهان على استمرار الوجود بعد الموت أى بقاء الشخصية والقدرة على التواصل مع الأرواح غير المجسدة هو أثمن ما يمكن التطلع إلى الحصول عليه . إنه منارة يتلألأ نورها فى ظلمة اليأس وتعطش النفس هو صوت واضح يدوى فى بيداء التحرر من الضلال ومجاهل القصور عن التمام هو فى خضم هذا التكوين الاجتماعى الغاشم اليد المحتضنة الآسية هو عزاء وبركة لكل من يقول وهذا أيضاً سيمر وينقضى فما هو إلا مدرسة أعد فيها نفسى لعمل أكبر وأسعد وأهم كثيراً) .

ويقول السير أوليفر لودج مدير جامعة برمنجهام والذى يعتبر من علماء الطبقة الأولى فى الطبيعة وهو صاحب الأبحاث والتجارب العلمية التى توصل بها إلى استخدام الكهرباء

فى تبديد الضباب كما أنه من العلماء الذين يرجع إليهم السبق فى الوقاية من الصواعق وأنه من ضمن العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير فى الأبحاث اللاسلكية ويعتبر هو الذى مهد السبيل لماركونى فى اكتشافاته وقد عين لكثرة أبحاثه العلمية ودقتها رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطانى ورئيساً للجمعية الطبيعية ورئيساً لجمعية رنتجن يقول بعد دراسة واسعة للأثير وما وراء الطبيعة (إن الحياة والعقل يحتاجان إلى أداة يظهران بها أو يتجليان فيها ولكن هذه الأداة لايجب أن تكون مادة بل قد تكون الأثير نفسه وإذاً فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادى محتمل وإن كنا لانستطيع إدراكه بحواسنا ولكن بعضاً منا ممن أرهفت حواسهم يستطيعون أن يتبينوا أثر الشخصية فى الأثير فيتلقون من الأشخاص الذاهبين الذين خرجوا من دائرة الوجود المادى الرسائل والأنباء) .

وهانن سوافر وهو من أكبر رجال الصحافة فى إنجلترا الذين عرف عنهم أنه لايقبل كل ما يقال بل أنه لايمكن أن يردد غير ما يعتقد وأنه يميل إلى النقد والهدم ولم يعرف عنه غير ذلك ولذا فإنه كان مرهوب الجانب يخشاه الناس دائماً . ولقد زود الروحية بمؤلفاته وأبحاثه التى تعتبر ركناً هاماً فى هذا الشأن بل إنه ليقرر هذه الحقيقة بلا لبس أوشك

فى قوله (لقد ثبت لى بصفة قاطعة وبعد تجارب مرهقة طويلة ان الحياة لاتنتهى عند القبر وأن هذه الدنيا بكل ما فيها من مصاعب ومتاعب ما هى الا روضة أطفال تهيئنا لمهمة أكثر روعة واكتمالا فى عالم آخر)؛

ولقد أعلن الدكتور ايان ستيفنسون رئيس قسم الأعصاب والطب النفسى بكلية الطب بجامعة فرجينيا الأمريكية فى منتصف عام ١٩٦١ أنه أجرى دراسة لمدة عشر سنوات هدفها الوقوف على ما إذا كان هناك احتمال فى أن روح الإنسان تبقى بعد الموت وعثر على أدلة تؤكد أن هناك جزءاً من الإنسان يبقى بعد موت الجسد والآن يتابع هذه الدراسة فى عدة دول منها الهند وسيلان حيث يدرس بعض الظواهر التى يقوم بها بعض الأهالى وتؤكد وجود روح للإنسان تبقى حية بعد انفصالها عن الجسد؛

لقد استخدمت الأجهزة فى هذه الأبحاث وعلاوة على آلات التصوير والوزن التى قام بها علماء ثقاة فى جامعات علمية فإن من ضمن أدلة وجود الروح التنويم المغناطيسى الذى ينام الإنسان به بدرجات مختلفة إما عن طريق مؤثرات طبيعية كالنظر إلى ضوء معين أو الاستماع إلى صوت متتابع منسجم النغم أو بتأثير سيال كهربائى أو بمواد كيماوية كالأثير

أو الكلوروفورم أو بمؤثر حيوى وهو إنسان أقوى من النائم وفى هذه الحالات تتحلل روح الشخص النائم من جسدها وتنطلق فترى ما لاتستطيع رؤيته وهى فى سجنها المادى وكذلك تسمع وتدرك ما لاسبيل إلى سماعه أوإدراكه وهى فى جسدها .. وحتى يمكن إثبات تعطل القوى الجسدية فى الشخص النائم فقد تجرى بعض التجارب عليه عند نومه ومن هذه التجارب يمكن الجزم بأن الجسم أصبح وكأنه فى حالة موت تام إذ يعمد الشخص المنوم إلى وخز النائم بالإبر إلى أن تصل الإبرة إلى عظمه فلا يحس النائم بشىء ولا ينزل من جرحه دما .. وحوادث قراءة النائم للخطابات المغلقة ومعرفة ما يجرى فى مكان بعيد من الأمور التى مرت بالجميع فى مشاهدات التنويم المغناطيسى والتى تؤكد انطلاق روح النائم وخضوعها لإرادة الروح الأقوى وهى روح المنوم ..

وكذلك من أدلة وجود الروح حالات التلبثى وفيها تفكر فى شخص تفكيراً قوياً أو يطرأ على بالك بصفة قوية فتجده أمامك على الفور أو تحس بشىء سيحدث أوصورة معينة تمر بك فلا تلبث لحظة إلا أن ترى ذلك بصورة مطابقة فمنهم من يقول إنها حاسة سادسة وآخرين يقولون أنها زيادة شفافية وقد جاءت الأنباء العلمية أخيراً تقرر أن بجامعة

ليفربول تدرس حالياً هذه الحالات ويشترك فى هذه الدراسة حوالى ١٥٠ من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس وأنه قد استخدمت فى التجارب العلمية عقاقير وأدوية لإثارة هذه القوة الغامضة فى الإنسان ومن ضمن التقارير الموضوعة فى هذا الشأن ما نصه (ان القدرات العقلية العظيمة كالنظر فى المستقبل والتخاطر والاستشفاف هى أشياء حقيقية تماماً ونحن نعمل لإثباتها بأدلة قاطعة وإذا أسفرت تجاربنا عن نتائج هامة فإن الجامعات قد تجعل منها دراسة رسمية).

وكذلك من أدلة وجود الروح وقوتها العلاج الروحى الذى اعترف به ويمارسه عدد كبير فى كل بلاد العالم وفى ذلك يقول العلامة الدكتور الكسيس كاريل الطبيب العالمى (لقد آمن الناس فى جميع البلدان وفى جميع العصور بوجود المعجزات والشفاء السريع الذى يصيبه المرضى فى أماكن الحج وبعض المزارات ولكن هذا الإيمان اختفى بتاتاً أمام قوة العلم الدافعة خلال القرن التاسع عشر واستقر الرأى عندئذ بشكل عام لا على أن المعجزات لم توجد بتاتاً بل على أنها مستحيلة الوجود ولما كانت قوانين الديناميكا الحرارية تقول باستحالة الحركة المستمرة فإن القوانين الفسيولوجية تعارض المعجزات. وهذا لا يزال موقف معظم الفسيولوجية والأطباء ولكن إزاء

الحقائق المشاهدة خلال الخمسين سنة الماضية لايمكن أن تظل قائمة وجهة النظر هذه ولقد سجلت آرائى على ما رأيته من تأثير الصلاة فى الحالات الباثولوجية على المرضى الذين برئوا على الفور من أمراض مختلفة متعددة كالتدرن البريتونى والأخرجة الباردة والتهاب العظام والجروح القائمة والسرطان وتختلف عمليات العلاج قليلا فى شخص عنها فى آخر فأحياناً يحدث ألم حاد يعقبه إحساس فجائى بالشفاء وبعد بضع ثوان أو بضع دقائق أو بضع ساعات على الأكثر تجف الجروح وتختفى الأعراض وتمتاز معجزة العلاج الروحى بسرعتها فى عمليات الإبراء العضوى ولاشك أن التئام الجروح بالعلاج الروحى أسرع منه بالعلاج العادى والشرط الوحيد الذى لايمكن الاستغناء عنه لحدوث ظاهرة الإبراء هو الصلاة ولاحاجة لأن يقوم المريض بنفسه بالصلاة ويكفى أن يقوم بالصلاة لأجله شخص آخر بجواره ولأمثال هذه الأمور دلالتها العميقة فهى تظهر حقيقة بعض علاقات لاتزال طبيعتها مجهولة بين العمليات السيكولوجية والعضوية وهى تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية التى يهمل بحثها كل الإهمال علماء الصحة والأطباء والمربون والاجتماعيون مع أنها تفتح للإنسان دنيا جديدة) .

كذلك من أدلة وجود الروح ما يفعله فقراء الهنود من عجائب تؤكد أن الروح هى الأصل وأن الجسم إنما تابع لها فإنهم يستطيعون بقوة أرواحهم وتسلطها على أجسادهم من تقليل ضربات القلب إلى درجة كبيرة بل إنهم يستطيعون تعليق الحياة فيدفنون أنفسهم فى التراب أو فى الصناديق المغلقة .. بل ويمكنهم عن طريق الروح إعدام إحساسهم الجسدى فينامون على آلات حادة أو حديد محمى أو غيره ..

وأيضاً ما يشاهد على الطفل فى ساعة ميلاده فهو بعد لحظات الولادة .. وقبل أن يستطيع أن يرى أو يسمع نجده يعبس حيناً .. ويضحك أخرى .. بطريقة واضحة مميزة .. فيا ترى ماذا يبكيه ؟ .. ثم ماذا يضحكه ؟ .. إنه قطعاً لا يرى شيئاً بعينيه المادية .. وكذلك لا يسمع بأذنيه المادية .. كما أن عقله لم يتكون التكوين الذى نستطيع أن نقول إنه التفكير .. ولا تعليل إطلاقاً إلا ما قال به العلماء من أن روحه مازالت متصلة بعالم آخر ترى فيه ما لانستطيع أن نراه نحن .. فتضحك .. وتبكى .. ورويداً رويداً يكبر الطفل ويقل اتصاله بعالمه الآخر حتى ينعدم هذا الاتصال .. إلى أن يعود مرة أخرى — بمولده الجديد فى الحياة الثانية أو ما نسميه الموت .. فيعيش فى عالم آخر جديد ..

إن الأدلة على وجود الروح وكونها مستقلة عن الجسم وتبقى بعــد موته أكثر من أن تحصى كما أن ما كتب عنها يجعلها تصبح حقيقة مؤكدة ، وإذا كان العلم الحديث بوسائله العلمية المتعددة وأبحاثه وتجاريبه المعملية وتعدد مصادر هذه الأبحاث قد وصل إلى هذه الحقيقة فى العصر الحديث فإن القرآن الكريم قد أورد هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً وبذلك يؤكد الدين والعلم هذه الحقيقة . فآيات كثيرة من القرآن الكريم قررت خلق الإنسان وتكوينه من جزءين الجسم وهو من طين وروح تخالف طبيعة الجسم تماماً لأنها نعمة من الله وذلك بنص الآيات ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَـكُمُ السَّمعَ والأبصَارَ والأفئِدَةَ قَليلاً مَا تَشكُرُونَ ﴾ ، ﴿ إذ قَالَ رَبُّكَ للملائِكة إِنى خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ . فَإِذَا سَوّيتُهُ وَنَفَختُ فِيهِ مِن رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ... فهل يجرى على هذا الجزء الذى سجدت الملائكة للبشر بسببه الفناء أو العدم ؟ .. هذا الجزء الذى هو نفخة من روح الله .. أيفنى ؟ .. وإذا كان القرآن

قد قرر أن جسم الإنسان من طين فإنه قرر أن الروح إنما هى من أمر الله وأن القوم عندما سألوا عنها لم يكونوا على درجة من العلم تسمح بأن يفهموا عنها .. وما زال البشر كذلك فتقول الآيات ﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

كما قرر القرآن الكريم أن الروح من الله وأنها بالموت ترجع إليه فالرجوع يفيد أنها كانت عند الله وذلك بنص الآية ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ . ارجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً ﴾ .

ومن ضمن ما سبق إليه القرآن الكريم وجود حياة بعد الموت وذلك بنص الآيات الشريفة ﴿ وَلَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَموَاتاً بَل أَحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا ءاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبشِرُونَ بِالَّذِين لَم يَلحَقُوا بِهِم مِن خَلفِهِم أَلَّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ ﴾ . فالذين يقتلون فى سبيل الله يمتازون عن غيرهم بأنهم فى حياتهم الأخرى عند ربهم يرزقون وأنهم فرحين بما وجـــدوه من فضل الله لهم وأنهم يستبشرون أى أنهم

يتحدثون ويدركون . ووصف القرآن الكريم موت الظالمين فقرر أن الملائكة تكلمهم ساعة خروج الروح وأنها تبلغهم بأنهم سيجزون العذاب من بعد خروج الروح مما يفيد أن الروح تسمع وتفهم وتدرك وتحس وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَلَو تَرَى إذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوتِ والمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أيدِيهِم أَخرِجُوا أَنفُسَكُم اليَومَ تُجزَون عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنتُم عَن آيَاتِهِ تَستَكبِرُونَ ﴾ . وكذلك الآيات الشريفة ﴿ فَلَولاَ إذَا بَلَغَتِ الحُلقُومَ . وَأَنتُم حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنكُم وَلَكِن لاَ تُبصِرُون . فَلَولاَ إن كُنتُم غَيرَ مَدِينين . تَرجِعُونَهَا إن كُنتُم صَادِقِينَ . فَأَمَّا إن كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينِ . فَروحٌ وَرَيحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .

وهذه الآيات قد سبقت العلم إذ وصل أخيراً إلى حقيقة تقرر أن هناك أرواحاً تحضر عملية ميلاد روح الإنسان فى الحياة الثانية أى موت الجسم وأنها تبدأ فى مساعدته ومعاونته فى لحظات الانفصال وأن هذه الأرواح تصاحبها أرواح أحباء المنتقل الذين يحضرون لاستقباله ومصاحبته ومن

المشاهد عملياً أن الإنسان إذا بدأت الحياة الأرضية تنتهى عنه نجده فى لحظات الانتقال ينظر إلى المجهول وكأنه يتأمل ويستعرض شيئاً ثم نسمعه يتحدث ولابد أن يكون حديثه مع موتى سبقوه أو ينادى عليهم والمعروف أن المريض إذا نادى على ميت أو تحدث معه فإن الأمر يكون قد انتهى وهذا حق فإن المحتضر فى لحظات الانتقال يرى الحياة الأخرى فيتكلم مع من يراه فيها وتكون أجهزة النطق الجسدية مازال فيها الحياة فنسمع ما يقول وهذا المحتضر الذى يبتسم وهو يرحل أو يشير بيده أو يعبس ويبتئس أليس فى ذلك أدلة مادية تجريبية على أن المنتقل إنما بدأ يشاهد ويتفاهم مع أحياء الحياة الثانية وهو ما زال فى طريقه إليها .

وأثبت العلم كذلك أن الإنسان ينتقل ومعه أخلاقه وطباعه وماكان عليه فى الحياة بل إن الأبحاث العلمية أثبتت أن هناك إشعاعات تنبعث من الإنسان وأنها تكون ما يسمى بالهالة وهى مجموعة الاهتزازات الأبدية التى تحيط بجسمه وتعلو رأسه فى شكل مخروطى وأن للهالة لون يتوقف على صفات الإنسان وأعماله وأن اللون يتأثر بإرادة الإنسان، ومشاعره وعواطفه وكل إنسان يستدل على أخلاقه وطباعه وعمله من لون هالته وقد تمكن العلماء من اختراع جهاز

لرؤية الهالة اسمه الديكانين ووضعوا جدولا بالألوان يبدأ من الأسود الذى يدل على الكراهية والحقد والثأر والنفس الخبيثة ثم يتدرج إلى أن يصل إلى اللون الفاتح المضئ ويسبق القرآن الكريم هذه الحقيقة بما يقرره من وجود هذه الهالات فى آيات كثيرة مثل ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

أما كيف ينتقل الإنسان من حياته الأرضية إلى حياته الثانية فقد كان ذلك موضع دراسة طويلة قام بها كثير من العلماء والأطباء فى مختلف أنحاء العالم حيث وضع مئات المحتضرين تحت فحص واختبار علمى وتفرق الأطباء فى المستشفيات أثناء الحروب وبعد مئات الألوف من التجارب كان الوصف الذى وصل إليه العلم للانتقال هو أنه بعد شدة من الآلام التى يقاسيها المريض من مرضه إذ به فجأة تنعدم منه هذه الآلام وتخف وطأة المرض ويبدأ يظهر عليه واضحاً حالة لا تتصل بالآلام إطلاقاً ثم فجأة ينتهى أمر الحياة الدنيا

بالنسبة للمحتضر ويدخل الحياة الثانية بهدوء وسلام وقد أطلق العلماء على هذه الصحوة اسم صحوة الموت وهى الفترة التى ينعدم فيها الإحساس بأى ألم وقد شاهد الناس ومازالوا يشاهدون هذه الصحوة دائماً . .

لقد قرر الطب أن القلب إذا بدأت خفقاته تضعف فإن ذلك يسبب ضعفاً فى ضغط الدم وتبدأ سكينة وراحة تغشى الجسم ويبدأ البدن فى استرخاء كأنه دبيب النوم يزحف إليه بعد مجهود بدنى شاق ويضطرد هذا الضعف ويزداد الاسترخاء بينما تبدأ ناحية أخرى فى التيقظ والنهوض هى الروح فيقول الدكتور سيرجيمس جود هارب الطبيب الإنجليزى « ليس الموت بشىء مزعج إن هو إلا حجاب رقيق يخترقه المرء دون أن يحس جهداً بل دون أن يدرى شيئاً » . ويقول سير ارثركونان دويل « ان مرور الصالحين إلى العالم الآخر سهل ولا يسبب ألماً بل يعقبه رد فعل عميق بالسلام » . ويقول ارثر فندلاى عميد البحوث الروحية فى لندن « الموت سهل بسيط كالذهاب إلى النوم ثم التيقظ فجسمنا الأثيرى ينسل من جسمنا المادى حاملا معه العقل ثم نصحوا فى هذا الوسط الجديد فنجد أصدقاءنا وذوى قربانا على استعداد لمساعدتنا وإرشادنا فى حياتنا الجديدة . فالموت

ما هو إلا انفصال هذا الجسم الأثيرى أو هذا التيار الأثيرى عن الجسم المادى ويعود الجسم المادى إلى الأرض أما الجسم الأثيرى وهو الذى يهيمن عليه العقل فيستمر فى تأدية وظائفه فى هذا العالم الأثيرى الذى لا يمكننا إدراكه بحواسنا ما دمنا نسكن فى أجسامنا المادية فمدى البصر واللمس عندنا من الحصر والتحديد بحيث لا نستطيع إدراك تلك الاهتزازات الألطف والأعلى درجة » .

وهذا ما جاء به القرآن الكريم قبل العلم إذ يقرر أن الموت أمر هين سهل شأنه شأن النوم تماماً إنما يمتاز الموت بأنه إمساك للروح عند الله وهو تشريف وتقريب وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيها المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

كما قرر أن فى حالة الموت تعترى الإنسان حالة من انعدام الألم أى تخدير ولفظ القرآن الكريم الذى جاء به هو السكرة .. والسكرة بمعنى التخدير . وذلك إذ تنص الآية الشريفة ﴿ وَجَاءَتْ سَكرَةُ المَوتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنه تَحِيدُ ﴾ .

ويقرر القرآن الكريم أن الموت كالحياة نعمة خلقهما الله : وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ الَّذِى خَلَقَ المَوتَ والحيَاةَ لِيَبْلوَكم أيُّكم أَحسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيز الغَفُورُ ﴾ بل إن الآيات كثيرة التى تقرر أن الموت سبيل الحياة الحقيقية وأنها خير مما فى الدنيا وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَلَئِن قُتِلتُم فِى سَبِيلِ اللهِ أو مُتُّم لَمَغفِرَةٌ من اللهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ ﴾ . وكذلك الآية الشريفة ﴿ وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنيَا إلَّا لَهوٌ وَلَعِبٌ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الحَيَوانُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ ﴾ . وحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) يؤكد ويقرر ما وصل إليه العلم كذلك من أن الحياة هى ما بعد الموت..

أما من أين أتينا وكيف كنا ؟ .. فإن العلم لم يجد بعد وسائل البحث بل لم يجد الطريق إلى هذا البحث بعد أن تبين أن ذلك من الأمور الشاقة التى يصعب عليه أن يعرف حتى كيف يبدأ البحث .. واعتماد العلم على الظواهر التى يراها لاتحقق الواقع الذى تشير إليه هذه الظواهر فإنها تتناقض ، فقد كان الرأى السائد من قبل ومازال البعض يؤمنون به

بأن الإنسان كان قبل ولادته روحاً فى كائن آخر وهذه هى
نظرية تناسخ الأرواح التى تقول إن الإنسان كان قبل ولادته
روحاً فى كائن ثم بعد موته تحل مرة أخرى فى كائن آخر
إنسان أو حيوان وأن للإنسان بذلك أكثر من حياة ، ومن
الأدلة القوية التى يستندون إليها ما وصل إليه العلماء بدراستهم
لأشخاص وجدوا أنهم يتذكرون أشياء عن حياة أخرى
كتلك السيدة التى أعلن أخيراً أنها تذكر كأنها عاشت فى عهد
الفراعنة والكثير من الأطفال يصفون بلاداً بعيدة لم يشاهدوها
أو يذكرون وقائع غابرة لم يسمعوا عنها وأيضاً ما يشاهد فى
حالات خاصة وتحت ظروف معينة من معرفة إنسان لعلوم
لم يتعلمها أو النطق بلغات لم يفهمها ولم يتحدث بها من قبل
ومن أمثلة ذلك ما أعلن أخيراً أن فتاة كتبت باللغة الهيروغليفية
ونطقت بها ولما فحص العلماء ماكتبته وجدوا أنها اللغة
المصرية القديمة فعلا وبديهى أن النطق بها لم يسمعه إنسان
من قبل . والرد على هذه النظرية بسيط جداً ويهدمها هدماً
تاماً فإن زيادة عدد الكائنات الحية بمختلف أصنافها زيادة
مضطردة تنفى أن الروح تخرج من كائن لتستقر فى آخر
إذ لابد لذلك أن يكون عدد الأحياء ثابتاً بلا تغيير ولكن
عدد الأحياء يزيد بصفة دائمة وزيادة كبيرة فالأرواح كذلك

فى زيادة مستمرة وليست فى تناسخ . وعلل علماء البحوث الروحية الظواهر المشار إليها بأنها عبارة عن حلول روح لكائن مات جسده فى جسم حى لمدة ما فتجعل صاحب الجسد يذكر ماتذكره الروح ويعرف ما تعرفه ثم تغادره ومن قبيل ذلك المس الروحى الذى اعتبره العلماء حقيقة واقعة ووضعت فيه مئات الكتب لوصفه وعلاجه من كبار الأطباء فى العالم وجاء به القرآن الكريم صراحة فى الآية الشريفة ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . . فالعلم لم يبدأ بحثه بعد فيما كان عليه الإنسان قبل حياته وقد يبقى ذلك مجهولا إلى الأبد وقد يصل الإنسان إلى بعضه إذا شاء الله . . ومتى أراد سبحانه وتعالى . . وفى هذا الشأن قرر القرآن الكريم أن الإنسان قبل أن يخلق كانت روحه موجودة وشهدت بوجود الله وعظمته وربوبيته وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدنَا أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . . فكيف كانت ؟ . . وأين كانت . . ؟ . . الله يعلم . .

وإذا كان رجال البحث العلمى قد وصلوا بالأجهزة المادية والآلات المعملية وبعد التجارب المتعددة إلى حقائق الروحية وأولها أن للإنسان روحاً مستقلا تنفصل عنه عند الموت وذلك بواسطة جهاز أطلق عليه مخدع ولسن كان يرقد فيه المحتضر وقد وضعت المواد التى تمتص الرطوبة وما يخرج من التنفس واتخذت كافة الاحتياطات العلمية التى تمنع أن يتسرب شيء إلى الخارج فأمكن بذلك معرفة أن وزنا ما . . . يفقده الإنسان عند موته وذلك بعد تجارب أجريت على الآلاف ودليلهم فى ذلك هبوط الوزن لمدة يسيرة وبنسبة ثابتة عقب الموت وفى كل حالة لم يتم فيها الموت لم يشاهد هذا الفقد وكذلك أن هذه الروح باقية بعد الموت وذلك بدليل إمكان تصويرها عن طريق أجهزة تصوير بعدسات خاصة وتحت أشعة معينة ويقوم بذلك كثير من البحاث منهم أطباء وعلى رأسهم جون مايرز طبيب الأسنان الإنجليزى المعروف بحسن السمعة والدقة العلمية . . فقد وصل علماء الدين على ضوء الآيات الشريفة التى جاء بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة التى وجه بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذه الحقائق إلى ما وصل إليه رجال العلم بأدواتهم وأجهزتهم

فيقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى « الحق الذى تنطق به الآيات والأخبار أن الموت انتقال وتغير حال وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد منعمة أو معذبة ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرفها عنه وكل ما هو وصف للروح بنفسها من إدراك وحزن وغم ونعيم وفرح يبقى لها بعد مفارقتها للجسد . وما هو وصف لها بواسطة الأعضاء كبطش باليد وسمع بالأذن وبصر بالعين يتعطل بموته إلى أن تعاد الروح إلى الجسد » .

ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضى الله عنه « اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ، مليين وفلاسفة إلا قليلا لايقام لهم وزن على أن لنفس الإنسان بقاءاً تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لاتموت موت فناء وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى أجساد البشر أوالحيوان على الدوام ومن ذاهب إلى أن التناسخ ينتهى عندما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال ومنهم من قال إنها متى فارقت الجسد عادت إلى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو ما به شقوتها ومنهم من رأى أنها

تتعلق بأجسام أثيرية ألطف من هذه الأجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الآخرة والوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب الآراء والأمم فيه قديماً وحديثاً مما لاتكاد تحصى وجوهه . هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث فى جميع الأنفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لايمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزعة وهمية وإنما هو من الإلهامات التى اختص بها هذا النوع . فكما ألهم الإنسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وإن شذ أفراد منه ذهبوا إلى أن العقل والفكر ليسا بكافيين للإرشاد فى عمل ما أوإلى أنه لايمكن للعقل أن يوقن باعتقاد ولا للفكر أن يصل إلى مجهول ، بل قالوا أن لاوجود للعالم إلا فى اختراع الخيال وأنهم شاكون حتى فى أنهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الإلهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة وأسس البقاء فى الأجل المحدود كذلك فقد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان فى الوجود بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً فى طور آخر وأن لم يدرك

كنهه . ذلك إلهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء يشعر كل نفس أنها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة إلى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية ، مهيأة لدرجات من الكمال لاتحددها أطراف المراتب والغايات معرضة لآلام من الشهوات ونزعات الأهواء ونزوات الأمراض على الأجساد ومصارعة الحواء والحاجات وضروب مثل ذلك لاتدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد . إلهام يلفتها بعد هذا الشعور إلى أن واهب الوجود للأنواع إنما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لايصح أن يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات . شعور يهيب بالأرواح إلى تحسس هذا البقاء الأبدى ، وما عسى أن تكون عليه متى وصلت إليه وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل ؟ شعورنا بالحاجة إلى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الأقوم ، بل لزمتنا الحاجة إلى التعليم والإرشاد وقضاء الأزمنة والأعصار فى تقويم الأنظار وتعديل الأفكار وإصلاح الوجدان وتثقيف

الأذهان ولانزال إلى الآن من هم هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لاندرى متى نخلص منه وفى شوق إلى طمأنينة لانعلم متى ننتهى إليها .

هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة ، فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب . . ؟ . هل فيما بين أيدينا من المشاهد معالم نهتدى بها إلى الغائب ؟ وهل فى طرق الفكر ما يوصل كل أحد إلى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها وبأنه لامندوحة عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ إلى تفصيل ما أعد له فيها ، والشئون التى لابد أن يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه أوإلى معرفة بيد من يكون تصريف هذه الشئون ؟

هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك إلى اليقين بمناطها من الاعتقادات والأعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة إليك ؟ كلا فإن الصفة بين العالمين تكاد تكون منقطعة فى نظر العقل ومرامى المشاعر ولا اشتراك بينهما إلا فيك أنت ، فالنظر فى المعلومات الحاضرة لايوصل إلى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقلة .

أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذى أقام أمر الإنسان

على قاعدة الإرشاد والتعليم الذى خلق الإنسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يحل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو أعلم حيث يجعل رسالته ؟ يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والأمانة على مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أوذهبت بعقله جلالته وعظمته فيشرفون على الغيب بإذنه ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين : نهاية الشاهد وبداية الغائب . فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من من أهلها وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفى عن العقول من شئون حضرته الرفيعة بما شاء أن يعتقده العباد فيه وما قدر أن يكون له مدخل فى سعادتهم الأخروية وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لابد لهم من علمه ، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولايبعد عن متناول أفهامهم وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم ، فى ذلك الكون المغيب من مشاعرهم

بتفصيله اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم فى إجماله . ويدخل فى ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال ظاهرة وباطنة ، ثم يؤيدهم بما لاتبلغه قوى البشر من الآيات ، حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه مبشرين ومنذرين .

لاريب أن الذى أحسن كل شىء خلقه وأبدع فى كل شىء صنعه وجاد على كل حى بما إليه حاجته ، ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى أجاد صنعه وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره أن ينقذه من سيرته ويخلصه من التخبط فى أهم حياتيه والضلال فى أفضل حاليه : يقول قائل : ولم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج إليه من العلم ولم يضع فيها الانقياد إلى العمل وسلوك الطريق المؤدية إلى الغاية فى الحياة الأخرى ؟ . وما هذا النحو من عجائب الرحمن فى الهداية والتعليم ؟ .. وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث – وهو النوع الإنسانى – ذلك النوع على ما به وما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف أفراده وأن لايكون كل فرد منه مستعداً لكل حال

بطبعه وأن يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان إما حيواناً آخر كالنمل والنحل أو ملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الأرض) .

وهذا هو المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر يقول فى تقديمه لكتاب (حياة محمد) «والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل إمكان تحول المادة إلى قوة وتحول القوة إلى مادة . وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ما تسطيعه من السرعة فى طى الأبعاد . »

ويقول فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية فى فتواه التى أصدرتها وزارة الأوقاف عام ١٩٤٧ ما نصه « ينبغى أن يعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافاً كثيراً فى أحواله وأطواره فالروح يسلكها الله تعالى فى البدن فى الحياة الدنيا فتوجب له حساً وحركة وعلما وإدراكاً ولذة وألماً ويسمى بذلك حياً . ثم تفارقه فى الوقت المقدر أزلا لقطع علائقها به فتبطل هذه الآثار ويفنى هيكل البدن ويصير جماداً ويسمى عند ذلك

ميتاً . ولكن الروح تبقى فى البرزخ وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح فى ملك الله حيث أراد وقدر وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتأنس بها سواء أكانت أرواح أحياء أم أرواح أموات . وتشعر بالنعيم والعذاب واللذة والألم بحسب حالتها وماكان لها من عمل فى الحياة الدنيا وترد أفنية القبور وتأوى إلى المنازل وهى فى كل ذلك لطيفة لايحدها مكان ولا يحصرها حيز ولا ترى بالعيون كما ترى الماديات . وقد يأذن الله لها وهى فى عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله أو بأجزائه الأصلية اتصالا برزخياً خاصاً لا كالاتصال الدنيوى بل يشبه اتصال أشعة الشمس وأضواء القمر بالعوالم الأرضية وهو اتصال أشراق وإمداد . فيشعر البدن كذلك بالنعيم والعذاب ويسمع ويجيب بواسطة الروح ، وقد لايأذن الله لها بالاتصال بالبدن فتشعر الروح بذلك كله شعوراً قوياً ويستمر ذلك الشأن لها إلى ما شاء الله حتى يوم البعث والنشور . هذا هو مذهب جمهور أهل السنة وبه وردت الأحاديث والآثار» .

ويقول فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء فى كتابه (سبيل السعادة) « ان فى الإنسان جزءاً

آخر غير ما نشاهده من هذا الجسم ، له من الخصائص ما يباين خصائص الأجسام فهو يقبل توارد المتضادات عليه واجتماعها لديه فى وقت واحد فيدرك الموت والحياة والترفع والتسفل إلى آخر المتضادات بخلاف الجسم فلا يقبل السواد مع البياض مثلا ولا الطول مع القصر وهى مدركة للروح معاً فى آن واحد . لقد قرروا أن الجسم بمنزلة الثوب الذى يستبدله الإنسان بغيره كل مدة من الزمان فكذلك الجسم يزول عنك بواسطة التحليل والتعويض كل مدة سبع سنين على ما يراه بعضهم فتطرحه وتلبس غيره ولو كان كل غذاء ينقلب بعد أدوار الهضم جزءاً من جسمك بلا تحليل لكنت اليوم أكبر من الجمل وأعظم من الفيل فالجسم إذا يتبدل ويتحلل لا محالة ولكنك تحس بشىء فيك لايتغير ولا يتبدل على تعاقب الحدثان ، تنسب إليه الأفعال التى كانت منذ صغرك لأنه هو هو لم يطرأ عليه تحليل ولاتعويض وأيضاً من قطعت يده أورجله أوغالب أجزائه يقول أنا بكل معنى الأنانية فهذا الجزء الذى تمر به الأيام وهو كما هو لايطرأ عليه زوال ولا يعتريه اضمحلال هو الروح وهو الذى يعبر عنه الإنسان بأنا ولو قطعت جميع أجزاء بدنه » .

ولايمكن أن نضع تحت حصر أسماء من كتبوا عن الروح

وبقائها وتواصل الحياة بعد الموت فإن كل من بحث من العلماء وصل إلى هذه الحقيقة بوجدانه وعقله أو بآيات الله فى القرآن الكريم أو بأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما رجال البحث العلمى فإنهم منذ كانوا على الفطرة حيث خرجوا بالميت من ثغرة فى الحائط ويدورون بالجثة حول الدار ليضللوا الروح فلا تعود للمنزل إلى أن وصلوا إلى استخدام الأجهزة وآلات البحث المعملية فقد أجمعوا أيضاً على هذه الحقيقة .

إن الإنسان يتكون من جسد وروح فأما الجسد فمن تراب وإلى التراب يعود وأما الروح فإنها نفخة من الله ومن أمره فهى باقية وأن مثل الحياة التى تحياها الروح وهى فى الجسم وحياتها وهى طليقة منه كمثل الجسد والروح ، هذا تراب من الأرض وهذه قبس من الله فما أبعد ما بينهما بل لاسبيل إلى التمثيل لها .. إن الولادة التى تتم للإنسان فى أول حياته الأرضية والتى ينزل فيها الجنين من بطن أمه — الذى يعتبرها وهو فى داخلها دنياه التى تملأ عليه مشاعره ووجوده — إلى الأرض ليعيش فى الدنيا ترى كم الفارق بين دنيا الجنين فى الرحم ودنيا الإنسان على الأرض . ؟ .. أنها نفس النسبة للولادة الثانية فالإنسان وهو مقيد بجسده يرى هذه الدنيا

بالاتساع العجيب الذى يضم الشمس والقمر والنجوم والكواكب والقارات والبحار والصحارى والبرارى والغابات والقفار ما أوسع هذه الدنيا .. .. فإذا ما ولد ولادته الثانية التى نسميها بالموت كانت الحياة التى ولد فيها أكبر من حياته الأرضية وأرحب وأوسع بما يساوى النسبة بين حياته الأرضية وما كان عليه وهو فى بطن أمه . . فليس فيما خلقه الله من تفاوت بل كل شىء موزون . . فكيف تكون الحياة الثانية ؟ .. صدق الله العظيم الذى يقول ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا لَهوٌ وَلَعِبٌ وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ ﴾ . وهكذا فإن هذه الحياة الدنيا بالنسبة للحياة الثانية كأنها من قبيل اللهو واللعب فما أروع شأن الحياة الآخرة . . وما أقل شأن حياتنا هذه التى نتمسك بها . . ونخاف عليها . ونعد لحظاتها . . ونرجو أيامها . . وهى فانيـــة حقاً . . يقيناً . . وأنها إلى النهاية . . حتما . . أكيداً . . فمهما حافظ الإنسان على نفسه ومهما أوتى من القوة والصحة ومهما اعتكف فى قصور أو بروج فإنه لابد بعد أن تكتمل أيامه يولد إلى الحياة الآخرة وليس إلى مفر من سبيل وصدق الله العظيم ﴿ أَينَمَا تَـكُونُوا

يُدرِكُمُ المَوتُ وَلَو كُنتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ .

إن طريقنا الذى لا محيد عنه هو إلى الحياة الثانية قصرت الأيام أوطالت ، بل كل إنسان يولد إنما على بداية طريق نهايته الحياة الآخرة ، فهذه الحياة الأرضية إنما هى سبيل التطور من روح آدمية الله سبحانه وتعالى أعلم بما كانت ماهيتها إلى روح تعيش فى حياة أوسع وأرحب حيث ترى آيات الله .. فى الحياة الحقة ، والفترة التى نعيشها فى الحياة الأرضية إنما هى فترة إعداد وتجهيز حتى يمكن أن نتلقى ما نستطيع أن نعرفه ونفهمه بعد أن أعددنا فهمنا ومعرفتنا فى الدنيا .. أما أولئك الذين لايؤمنون بالحياة الثانية سيصيبهم الفزع والهلع حتما عندما يجدوا حياة لم يكونوا يستعدون لها .. أو ينتظرونها .. وهؤلاء الذين عميت أبصارهم عن رؤية الحقائق الدالة على وجود الله سيصيبهم العمى كذلك من بهرة ما يرونه فى حياتهم الثانية فلم تتدرب عيونهم على النظر والمعرفة وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن كَانَ فى هَذِهِ أعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعمَى وأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ .

فهل هناك حقيقة تصادف الإنسان فى حياته أصدق من موته ؟ .. وإذا كان كذلك فكيف لاننتظره ؟ .. بل كيف

لانتوقعه ؟ . إن الإنسان فى حياته إنما يطوى المسافات التى تقربه إلى مماته .. ولم يحدث فى تاريخ البشرية منذ أن كان آدم إلى الآن وإلى الغد أيا كان الغد أن تخطى الموت شخصاً واحداً . . حتى يعتقد الفرد منا بإمكان أن يكون هو الثانى .. إذ الموت إن هو إلا تطور تستلزمه حياتنا وإنه انتقال إلى حياة أفضل وأرحب وأوسع . . فيا ترى بأى قدر يجب أن نعمل لهذه الحياة الثانية الباقية ؟ .. ونحن لانكاد نصرف لحظة من أوقاتنا فى غير العمل لحياتنا الفانية .. أليس هذا مما يؤسف له .. ؟ .. بل أليس ذلك من الأمور التى يقع الإنسان فيها فى خطأ .. وأى خطأ .. كيف نعمل للأولى وهى بلا بقاء ولانعمل للآخرة ونحن معها إلى لقاء ؟..

إن ما يصرفنا عن التدبر فى حياتنا الثانية هو الخوف منها .. وقد ثبت أنه ليس فى الموت ما يهاب . . ان كل ما نخافه هو المجهول .. الذى نخشى ذهابنا إليه بالموت .. ولكن إذا ما وصلنا إليه وأصبح معلوماً .. فهل نخاف ؟ .. إننا سنجده جميلا .. وطيباً .. وسنغادر هذه الفانية .. ونستقبل الحياة الباقية فى يسر وسهولة .. فإن الله سبحانه وتعالى وسعت رحمته كل خلقه .. وفى كل لحظة من لحظاتهم .. فهل رأينا الأم وهى تضع وليدها ؟ . ان الإنسان لو تدبر لوجد أن ذلك

من الأمور الشاقة إلى درجة تكاد تكون من المستحيلات ..
فخروج كائن حى بهذا الحجم من كائن آخر يكاد يضيق
به ومرتبط به بأوعية وأحبال ومتصل به عن طريق أجهزة
وشرايين أمر غريب لايمكن للإنسان أن يعتقد بإمكانه .. وإن
تم فإنها مغامرة أغلب الظن أنها لن تنتهى بما نوده .. ولكن
ملايين النساء تلد يومياً فى كافة أنحاء العالم بيسر وسهولة ..
ولسنا نقصد هؤلاء الذين يساعدهم الأطباء وحشد الممرضات
وغيرهم بل نقصد ما نراه فى كل ريف فى أنحاء الدنيا حيث
يحدث أن تلد المرأة بنفسها ؛ قد تساعدها جارتها .. وقد
لاتكون لها جارة .. فتلد أيضاً وبمنتهى السهولة .. كما رأينا
فى الأوقات السابقة منذ سنين وكذلك فيما سلف من الأجيال..
ان المرأة تجد نفسها فجأة وكأن جميع أجهزة جسمها قد
استجابت لأمر لايمكنها إلا أن تطيعه الطاعة العمياء .. كل
هذه الأجهزة قد اتجهت بقوة أودعها فيها الله سبحانه لتيسر
عملية مولد الإنسان .. فهذه الكميات الضخمة من الإفرازات
التى تساعد على انزلاق الجنين .. من قام بها .. وهل هذا
عمل إضافى للأجهزة أم هو عملها الأصلى ؟ وهل كانت
هذه الإفرازات فى الجسم من قبل ؟ .. وأين كانت ؟ ..
وهذه العضلات التى تنقبض وتنبسط لتدفع الجنين إلى الخارج

لماذا تغير عملها الأصلى فتقوم بعمل آخر ؟ . وهل تدخلت الأم فى ذلك ؟ .. بل هل تدخل بشر فى ذلك ؟ ثم يولد الإنسان .. بلا ألم .. وبلا مشقة .. لا على المولود .. ولا على الأم .. بل إن الأم تحس بلذة عصبية . . وراحة نفسية يؤكدها رغبتها فى الحمل والوضع ثانية .. ولو كانت الصعوبة فى الميلاد كما يجب أن تكون بالنسبة لحقيقته لما ولدت النساء إطلاقاً .. فلماذا نخشى الموت ؟ .. ألسنا فى رحمة الله الذى تولانا فى مولدنا ؟ . فهل يتخلى عنا فى ولادتنا الثانية ؟ . هذه الملائكة التى تحضر عملية الموت أليست للمساعدة ؟ .. وهؤلاء الأقارب والأحباب من الذين سبقونا فى الموت والذين يحدثهم المحتضر ساعة موته ويراهم ألم يحضروا للمعاونة والإرشاد ؟ .. لقد بالغنا فى الخوف من الموت ولعل من أسباب ذلك ما يرجع إلى ما نشاهده من بكاء ونحيب وحزن يصاحب الموت ولكن ذلك من لوعة الفراق يعبر عنها الأحياء وليست من عمل الميت أومن توجيهه .. كما أن من ضمن أسباب خوفنا من الموت ما قد يجول بخاطر البعض من أن الموت انعدام لحياة يراها الإنسان مهما كانت حالتها خير من العدم .. ولكن قد أكد العلم ما قرره الدين من أن الحياة متواصلة لا انقطاع فيها وأن الموت إنما هو تغير فى حالة

الحياة . . من حياة محدودة إلى أخرى أوسع وأرحب . .

إن آخر الحقائق العلمية التى أثبتها العلماء من دراسات مستفيضة تؤكد قيام حياة أخرى تزاولها الروح منذ انطلاقها من الجسد هذا مع مراعاة أنه لم يؤخذ فى الاعتبار ما تفيض به الكتب والأبحاث التى تزيد على الآلاف بكافة اللغات وفى كل الدول من التجارب التى أجريت على تحضير الأرواح بعد اتخاذ كافة الوسائل العلمية التى تمنع أى غش أوتدليس أو تزوير أو دجل أو شعوذة وقامت بوصف عجيب وغريب للحياة الثانية ومظاهر النشاط فيها .. وإذا تركنا كذلك العلوم التى بحثت هذه الظواهر وتحققت من صحتها وأصبحت لها دراسات علمية صحيحة تمنح عليها أرقى الشهادات الجامعية فى معظم دول العالم ، فإن لنا من هدى ديننا الحنيف الذى لم يترك شيئاً فى الحياة إلا وأحاطنا به علما القول الفصل الذى لا يحتاج الإنسان بعده إلى دليل .. فهذا هو القرآن الكريم تقضى آياته الشريفة بهذه الحقائق التى وصل إليها العلم كما سبق إيضاحه فهل للشك فيها سبيل ؟ .. وهذه أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطعة بتواصل الحياة بعد الموت فعن أنس بن مالك قال سمع أصحاب رسول الله صاحبهم عليه الصلاة والسلام فى جوف الليل وهو يقول :

« يا أهل القليب يا عتبه بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعه ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وعدد من كان منهم فى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً فقال المسلمون يا رسول الله أتنادى قوماً جيفوا قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا » .. وقال عليه الصلاة والسلام « أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار » ومما يؤكد قدر الحياة الثانية وزيادتها عن الأولى حديثه عليه الصلاة والسلام « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » وقد عرف الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق فنشروها ففيما يروى عن الإمام أبى عبد الله جعفر بن محمد رضى الله عنه أنه قال « أن أرواح المؤمنين فى أجساد كأجسادهم إذا قدم عليهم القادم من الدنيا عرفتهم » .

هذا هو الموت ..

وهذا هو الطريق الذى حتما نسير فيه وهذه هى النهاية التى لابد أن نصل إليها شئنا أو لم نشأ . . رضينا أو كرهنا . . وهذه هى نهاية حياتنا الفانية .. وبدء حياتنا الثانية ..

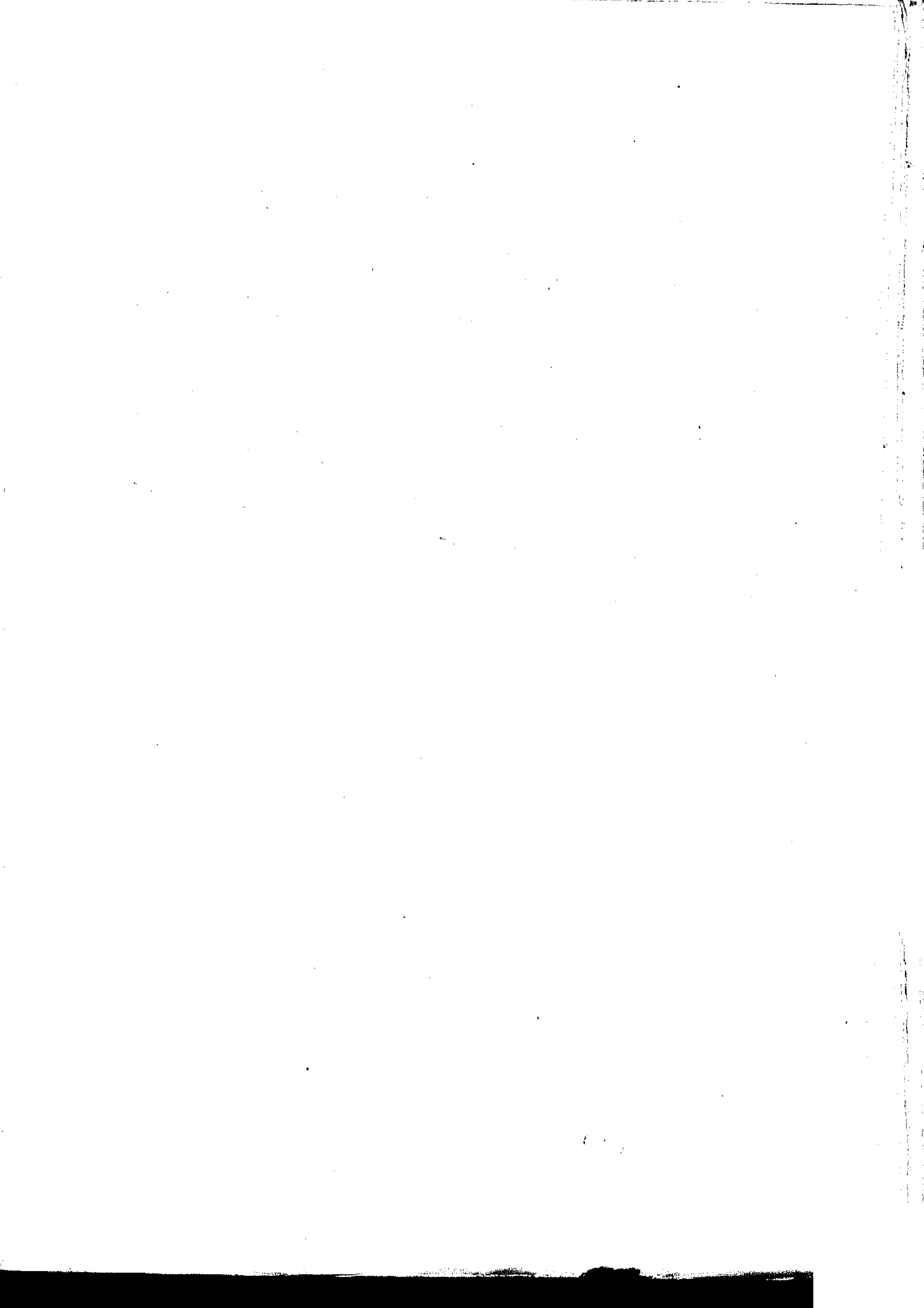
تركنا كل ما جاهدنا فى سبيله فى الحياة الدنيا وأنفقنا فيه كل حياتنا من متاع ومال .. وبنين .. وهذا متاع الغرور ..

فهل سيأخذ الإنسان معه من ذلك شيئاً فى حياته الأخرى؟.

إنها غفلة نعيش فيها .. تتبعها صحوة نحيا بها .. فإما هى شقوة تشملنا .. أو نعيم يحيط بنا ..

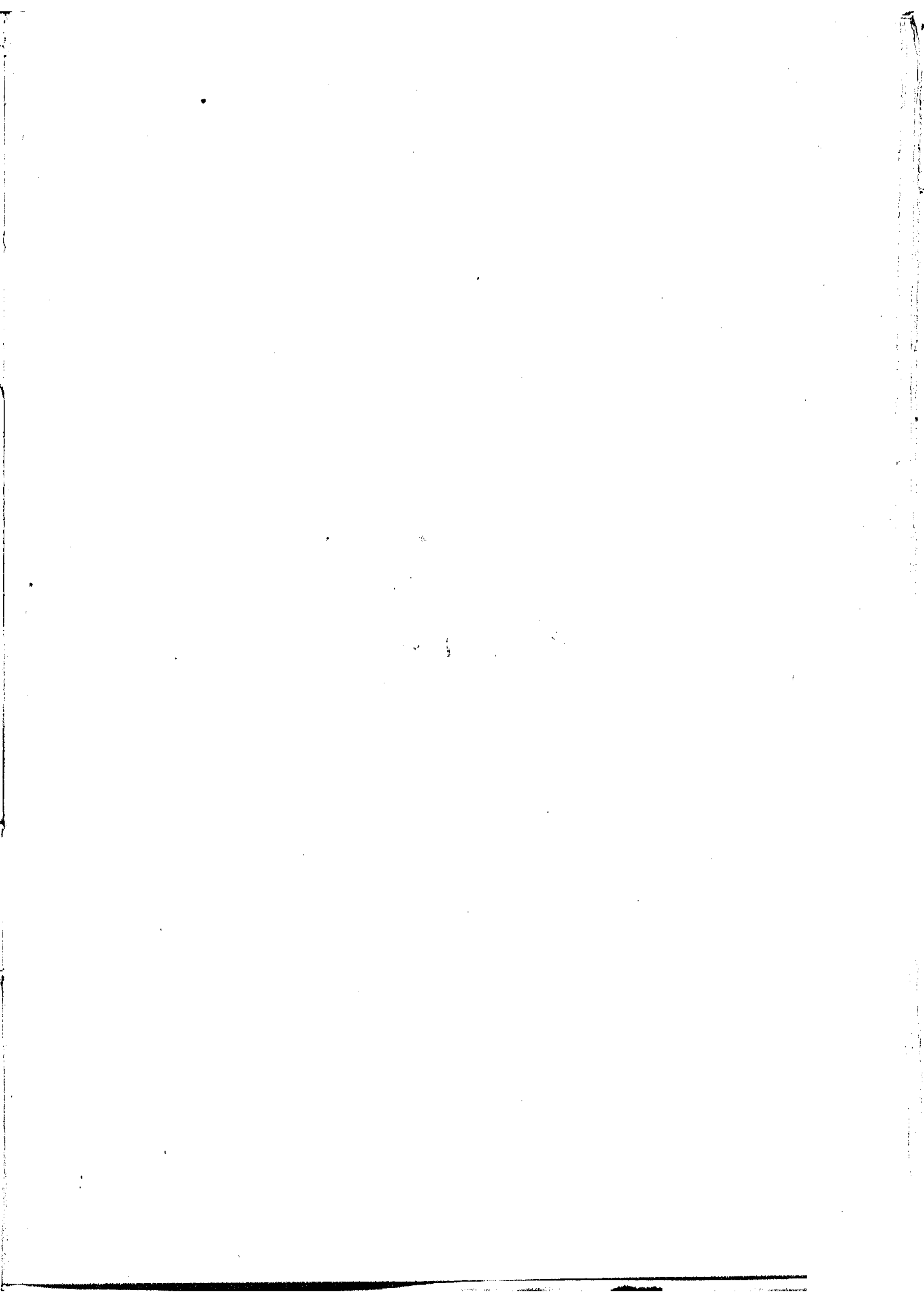
﴿ قُل إنَّ المَوتَ الَّذى تَفِرُّونَ مِنهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُم ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيبِ والشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾ .

« قرآن كريم ٨ سورة الجمعة »



أمرٌ رهيبٌ

ويوم لا ريب فيه



إلى هذا الحد الذى أراده الله أن يصل إليه العلم ليحقق ما جاءت به الأديان بخصوص وجود حياة ثانية ويقصر العلم عن إمكان البحث فيما بعد ذلك بل يعجز حتى عن بحث وسائل المعرفة.

لقد قرر العلم حقيقة قال بها الدين وهى أن بعد هذه الحياة المادية على الأرض حياة روحية فى البرزخ ونص الآية الشريفة من القرآن الكريم التى قررت هذه الحقيقة هو ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ . لَعَلِّى أَعمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَركتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ ﴾ . ولكن هل فى حياة البرزخ انتقالات أخرى ؟ . . وهل سلسلة التطور مستمرة فى الإنسان كروح بعد موته ؟ أم أنه يعيش فى ظل ما انتقل عليه إلى يوم البعث ؟ . . هـــذا ما سيعرفه كل منا بعد أن ينتقل من هذه الحياة ويزاول حياته الأخرى ولكن يا ترى كيف تكون هذه الحياة الثانية ؟ . .
إننا لو استخدمنا الحقائق العلمية التى وصل إليها العلم فى تفسير آيات القرآن الكريم التى وردت فيها الإشارات إلى هذه

الحياة الأخرى لعرفنا أى الحالات سنكون عليها ؟
ولعرفنا ما يجب علينا عمله فى هذه الحياة الدنيا قبل أن تنتهى
فرصة العمل .. وتقف بنا عجلة الحياة المادية .. فلا نستطيع
بعدها من عمل .. يمكن أن نأخذ معنا أجره ..

لقد وصل العلماء فى أبحاثهم فى المادة إلى أن الذرة — وقد
كانت تعرف بأنها وحدة الوجود التى لايمكن أن تنقسم
أو يوجد أصغر منها — تتكون من أجزاء أصغر هى الالكترون
والبروتون وبدراسة مكونات الذرة هـذه تمكن العلماء
من اكتشاف حقيقة علمية هامة هى اهتزاز الذرة بما فيها
ونتج عن دراسة هذا الاهتزاز دراسة ما وراء الالكترون
وقال العلماء أن الالكترون يتكون من أجزاء أخرى أصغر
منه وأن تجزئته إلى موجات هو أهم ما يتطلع إليه العلم
إذ بذلك سيتحقق ما يراه العلماء من أن المادة نوعاً من
اهتزاز أثيرى أو دورة أثيرية فى الفضاء وأن الكون لايتألف
لذلك إلا من موجات ولاشىء غير الموجات وهذه
الموجات نوعان معبأة وهى المادة التى نسميها مادة وأخرى
غير معبأة وهى التى نسميها إشعاعاً أو ضوءاً وبذلك فإن
إبادة المادة التى نراها ظاهرياً إن هى إلا عملية فك إسار
هذه الطاقة المختزنة فتنطلق فى الفضاء ويقول العلامة جينز

« وبذلك فالكون بما فيه إن هو إلا عالم من الضوء وتكون قصة خلق هذا العالم محصورة فى أن الله تبارك وتعالى قال ليكن نور فكان نور » وهـــذا يطابق ما جاء فى القرآن الكريم بنص الآية الشريفة ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ ﴾ .

وبذلك فإنه ليس هناك إفناء للمادة إطلاقاً إنما هى تتحول من حالة إلى أخرى كما ثبت إمكان تحويل المادة صناعياً إلى طاقة ومن ثم إلى إشعاع .. كما ثبت أن الإشعاع كذلك لايفنى .. وأن الكون إنما هو حالات اهتزاز وأن هذا الاهتزاز هو أصل الوجود وأنه لايفنى إنما تتغير درجة اهتزازه فتتغير حالته .. وعلى هذا الأساس بدأ العلماء فى دراسات عميقة :: لقد تمكن العلماء من التقاط الأصوات التى تذاع فى أى مكان فتسمع فى نفس اللحظة والتو فى الفضاء فى الطائرة أو فى أعماق البحار فى غواصة أو على الجبال فى المغارات أو الكهوف :: مهما بعدت المسافة بين مكان الإرسال ومكان الالتقاط :: فإننا جميعاً نسمعها فى لحظة واحدة وليس الصوت الذى نسمعه بصوت مشابه أو نغم قريب :: إنما هو نفس الصوت المذاع ونفس النغمة حتى أن المرء ليعلم من المتحدث إذا كان يعرف صوته فالأنغام

كذلك تنتقل عبر الأميال بل ملايين الأميال دون أن تفقد شيئاً من خواصها وما ذلك إلا أن اهتزاز الصوت الذى يحدث فى إذاعته أمكن إعادته بأجهزة الاستقبال .. وهذه هى عملية الإذاعة وتقوم أساساً على عدم فناء موجات الصوت فى الجو .. ويدرس العلماء حالياً محاولة استقبال إذاعة سابقة .. فأساس هذه النظرية هو نفس ما قامت عليه الإذاعة .. ويحاول العلماء استخدام أجهزة معينة تلتقط الأصوات المعمعنة فى القدم .. وإذا عولجت هذه الأجهزة بحيث تعمل بأمواج معينة وأطوال محددة واهتزازات مقدرة فإنه يمكن التقاط أحاديث جماعات فى مكان محدد تمت منذ أزمنة معينة مهما كانت الأزمنة بعيدة .. ويراود العلماء حلم جميل هو إمكان التقاط أحاديث الرسل والأنبياء .. فهل يا ترى نعيش نحن أبناء هذا الجيل لنرى أن هذا الحلم قد أصبح حقيقة .. أم يكون ذلك بعد أجيال وأجيال أو يا ترى يفشل فى ذلك دواماً العلماء ؟ .. إن الأمر مرهون بإرادة الله سبحانه وتعالى ووفق مشيئته .

ولا يعنينا فى هذا البحث مناقشة إمكان نجاح العلماء فى ذلك من عدمه ولكن يكفينا منه الحقيقة المقررة التى لاشبهة فيها ولاشك والتى تقرر أن الأصوات إنما تبقى فى الوجود

لاتفنى ولا تبلى ولا يعتريها أى تغير من أى نوع كان ..
فكل لفظ نطق به الإنسان منذ ولادته إلى يوم مماته إنما قد
حفظ وسجل بلازيادة أو نقصان وبلا تغيير أو تحريف ..
بل بنفس القوة التى قيل بها وبنفس النغم .. وإذا كان العلم
قد وصل إلى ذلك أخيراً فإن القرآن الكريم قد جاء به منذ
عشرات المئات من السنين فى الآية الشريفة ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن
قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ .
كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ .

ووصل العلم فى أبحاثه كذلك إلى أن كل عمل أو حركة
إنما تسبب اهتزازاً معيناً بدرجة محددة وان ما نراه
من حركة إن هو إلا عبارة عن ذرات فى اهتزاز معلوم ..
فهل إذا انتهى الفعل أو العمل يبقى لهذا العمل من أثر ؟ ..
لقد استمر العلماء فى أبحاثهم التى بدأوها منذ سنوات قليلة
حول أثر العمل والحركة فى الوجود ، ووصلت دراساتهم
وتجاربهم إلى حقائق قاطعة وأدلة مادية وأصابهم النجاح
إلى درجة كبيرة وفى وقت قصير . ولقد أصاب الناس
العجب وأى عجب .. عندما نشرت الصحف أخيراً صورة
التقطها العلماء بأجهزة تصوير خاصة لمكان خال فظهرت

فى الصورة سيارة كانت موجودة قبل التصوير بمدة تقرب من الساعة بل مما يثير الدهشة أكثر من ذلك أنه أمكن بملاحظة درجات لون السيارة معرفة درجة حرارتها أى السرعة التى كانت تسير بها .. ومازالت الأبحاث مستمرة والدراسات متواصلة لعل العلماء يصلون بأبحاثهم هذه إلى تصوير حوادث وقعت فى أزمنة غابرة وبيان أعمال أعتقد الإنسان أن الزمن وقد مر عليها قد محاها . . وسواء وصل العلماء بعد أن عرفوا الوسيلة أو لم يصلوا إلى تصوير حوادث أبعد فإن الحقيقة المقررة التى لاشك فيها هى أن كل فعل أوعمل أوحركة إنما يسبب اهتزازاً يظل ثابتاً فى لوحة الفضاء وهذا ماقرره القرآن الكريم كذلك فى مثل الآيات الشريفة ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيكُم بِالحقِّ إنَّا كُنَّا نَستَنسِخُ مَا كُنتُم تعمَلُونَ ﴾ ، ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يظلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

إنه لأمر رهيب .. أن كل قول أو فعل للإنسان فى حياته هذه إنما يسطر وينقش لايمحى ولا يتبدل ولا ينقص ولا يتغير .. فهل إلى مفر منه من سبيل ؟ .: وكيف .. كيف السبيل ....

فإذا كانت حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وتفوهاتنا منقوشة

فى لوحة الفضاء .. فهل لو عرضت علينا فى صورتنا أيمكننا أن ننكرها ؟ .. إلا إذا أمكن للإنسان أن ينكر نفسه .. سنرى أنفسنا ونحن نتحرك ونعمل كل ما عملناه وسنستمع كذلك إلى كل ما قلنا .. وتكلمنا .. عندما نتحول من الحياة المادية إلى الحياة الروحية ذات الاهتزاز المعين الذى يناسب وما أصبح عليه القول والفعل من اهتزاز فنعيش فى الحياة الثانية فى ظل أعمالنا وأقوالنا .. ولقد أثبتت الأبحاث الطبية أن بمخ الإنسان منطقة معينة إذا أثيرت بطريقة معينة فإنها تسترجع كل ما مضى من حوادث وأفعال وإشارات وأقوال ولذلك تسمى مخزن الذكريات ففى اليوم الذى تعاد ذرات الإنسان مرة أخرى وتجمع عظامه ورفاته ويسترجع المخ ما حدث .. وتعى الروح كل ما سلف .. وتشهد الأعضاء على صاحبها .. فهل إلى الإنكار سبيل ؟ ..

إن هذه الحقيقة التى تقرر أن قول الإنسان وعمله لايفنى ولايتغير ولايتبدل إنما يظل على حاله باقياً خالداً والتى وصل إليها العلم فى أبحاثه وقال بها القرآن الكريم ووردت فى أحاديث سيدنا الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ألا تهدف هذه الحقيقة إلى غاية ؟ .. وهل يسجل على الإنسان عمله إلا لينال عنه الجزاء ويقضى به الحساب ؟ .. فأما ينال به حسن الأجر

ونعيم الثواب وأما استحق بسببه سوء الأجر وشديد العذاب.

وقد اقتضت حكمة الخبير العليم الخالق الكريم أن يسجل عمل الإنسان وقوله على صورة صاحبه حتى يرى الإنسان نفسه وكفى بنفسه عليه بعد ذلك حسيباً وذلك بنص الآيات الشريفة ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ . هـذا يوم القيامة يوم الحساب . . فلابد أن يكون هناك حساباً ولابد أن تكون هناك قيامة . . وإنه يوم لاريب فيه . .

قد يموت الظالم دون أن يستوفى الجزاء فى دنياه .. وقد يموت المظلوم دون أن يستقضى حقه فى حياته .. والظالم والمظلوم إنما مرجعهما إلى الله .. فإذا كان العدل الأرضى الذى أقامه الإنسان يقضى بأن يرد الظالم كل ما ظلم به غيره وهذا غير ما يستحق من جزاء .. فيا ترى كيف وكم يكون عدل الله ؟ .. لابد من رد الحقوق أولا .. وهذا مما لايختلف فيه اثنان .. ولايمكن أن يكون موضع شك أى إنسان .. أما العقاب فإن الله سبحانه وحده صاحب الأمر فيه إن شاء عفا .. وإن أراد خفف وإن أمر شدد .. أما كيف ترد

الحقوق فإن ذلك من الأمور الشاقة القاسية التى لايستطيع الإنسان أن يتصورها إذ لامال ولابنون ولا أعراض ولا سلطان .. فكيف يرد المغتصب مالا وليس عنده منه .. وكيف يرد عرضاً اعتدى عليه فى يوم يعجز عن ذلك الإنس والجان .. وكيف يدفع الإنسان كل ما للغير من حقوق مهما صغرت .. وما أكثر ما تعامل الإنسان مع الناس فى حياته .. كيف يرد ما ظلم ؟ وكيف يدفع ما سلب؟.. وقد انعدم ما أخذ واندثر ما نهب .. ومهما كان ما أخذه صغيراً وما سلبه قليلا .. وما اغتصبه بسيطاً .. فإن القضاء أمر حتمى .. وإن الحساب لابد منه ولا محيد عنه ..وصدق الله العظيم الذى يقول عن هذا الحساب ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القسطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَإن كَانَ مِثقَالَ حَبَّةٍ من خَردَلٍ أَتَينَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

كيف يمكن لأى إنسان وهو يرى هذا الكون الذى تحكمه تدابير عادلة ويسير وفق مشيئة عالية وكل ما فيه إنما هو دليل اتزان وقصد وعدالة أن يفكر فى أن هذا الوجود سينتهى إلى عدم ؟ .. ألا يكون ذلك فوضى .. وأى فوضى ؟ .. وهل البداية إلا نبوءة لما تكون عليه النهاية ؟ ..

فكيف يمكن لأى عقل مهما كان قليل الإدراك أن يتخيل أنه ليس بعد هذه الحياة التى لا دخل للإنسان فيها إلا أن يعيش على هامشها بقدر مقدور وعمر مسطور وأيام معدودة وأنفاس محدودة ولايستطيع بأى حال من الأحوال أن يغير عددها أو يعدل اتجاهها .. إلا العدم .. ؟ .. كيف يمكن لعقل مهما كان قدر هذا العقل أن يتصور أن بناء الوجود الضخم الذى احتارت البشرية فيه من يوم أن قامت إلى أن تنتهى فى فهم ولو سر واحد من عديد أسراره أو حتى معرفة عدد وحداته ولو كانت هذه الوحدات من التى نراها دائماً حولنا مثل النجوم .. سيكون مصير هذا البناء إلى لاشىء ؟..

فهل إذا عرفنا مهندساً قديراً قد شهد له الناس بالمعرفةوالعقل والمقدرة أقام مدينة فيحاء ذات مساكن وعمارات وخط فيها الشوارع والطرقات وزين الميادين والساحات وأتم المرافق جميعها ووسائل العيش بأكملها .. هل يشك أى إنسان فى أن هذه المدينة قد أقيمت لتسكن أم يا ترى يوجد من يقول إنها أقيمت لتهدم عند تمام إقامتها وتصبح خراباً بعد كمال إنشائها ؟ ولا يمكن أن يقاس ذلك بالحياة والآخرة فما أبعد الفارق .. بعداً كبيراً ..

هل مما يتصوره إنسان أى إنسان أو يقبله عقل أى عقل

أن من أنفق حياته الدنيا فى ملذاته الشخصية وشهواته البدنية وإشباع غرائزه الدنيوية غير محترز من حرام أو متحيز لحلال يتساوى مع من ترك وابتعد عن الشبهات ولم يستجب لنداء نفسه وهى أمارة بالسوء وأنفق حياته وهو يعلم أنه فيها غريب غير مقيم ومرتحل مهما طال به الحين فلم يستمتع بحرام ولم يتلذذ فى الدنيا لزهده فيها .. هل يمكن أن يتساوى الرجلان ؟ .. فتنهى حياتهما على ما فعلا .. دون جزاء للأول وثواب للثانى ؟ ..

أليست هى حكمة الحكيم الخبير التى اقتضت أن يترك الظالم والمغتصب كل ما أخذ أو سلب فيغادر الظالم والمظلوم الدنيا وهما صفر اليدين . . وقد ترك الظالم ما سلب . . واغتصب .. وأما المظلوم فقد صبر على القضاء وامتثل وفوض أمره إلى الله واحتسب .. هل يتساويان ؟ .. هذا قنع بما أعطاه الله فحمد وشكر وصبر وذاك طمع فيما عند غيره فسلب ونهب واغتصب .. هل يتقاربان ؟ .. إن هؤلاء الذين يقولون بأن لاقيامة ولا بعث ولاحساب ولاعقاب إنما ضلت عقولهم فلا يفهمون .. وعميت أبصارهم فلايرون.. وحجبت بصيرتهم فهم لايشعرون .. إلا إذا اعتقدنا أن

النور كالظلام والإساءة تشبه الإحسان وأن السلب إنما هو نوع من العطاء .. وحقاً وصدقاً ما قاله القرآن الكريم فى آياته الشريفة مثل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ، ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ، ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ .

وإذا كان حفظ قول الإنسان وعمله وشهادتهما عليه يعتبر أمراً رهيباً فإن يوم الحساب أشد رهبة وأكثر وطأة وأخطر شأناً إن أمره لما لايخطر على بال الإنسان طالما هو فى حياته .. فإنه أكبر من العقل وأبعد من نطاق الفكر .. فهل يتصور الإنسان مبلغ الهول عندما يعرف أن هذا اليوم تجتمع فيه الحشود وتحشد الشهود ويحشر الخلق من يوم آدم إلى يوم الساعة ويحاسب الإنسان منا أمام هؤلاء .. الأب والأم والأخ والأخت والابن والبنت والجار والبعيد والعدو ، والحبيب أمام كل من خلقهم الله . . وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ ،

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ .
لاظلم فى الحساب .. ولا دفاع أو اعتذار أو تمسك بجاه أو أنساب . . كل نفس بما كسبت ، وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ اليَومَ تُجزَى كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَت لاَ ظُلْمَ اليومَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ .

وهل تصور الإنسان كيف يكون حاله إذا كان موضع عطف من إنسان ورعاية وإحسان وبينما هو فى موقف يجحد فيه هذا العطف وينكر هذا الإحسان إذا به فجأة أمام من عطف عليه وأحسن له وقد سمع منه ما قال .. كيف يكون خزيه ؟ وكيف يكون ندمه ؟ .. وكيف يكون حزنه وأسفه .. ؟.. وإذا كان هذا المحسن كبيراً فى قومه كأب أو عم ، أو عظيما فى مركزه كرئيس أو عزيز فكيف يكون الأمر ؟ . . يا ترى هل يمكن أن نتصور حالنا مع الله سبحانه وتعالى الذى خلقنا من عدم وأوجدنا بقدرته وحده ومنحنا السمع والبصر والفؤاد وكل ما يحفظ علينا حياتنا ويقيم لنا سبيلنا .. ؟ .. هل تصور الإنسان منا كم مرة أكل من يوم أن ولد .. ؟ .. وكم ثوب أبلى من يوم أن لبس ؟ .. وكم مال أنفق من يوم أن وجد ؟ .. فهل غير الله رزقه ووهبه

وأعطاه ؟ .. فكيف يكون حال الإنسان وبينما هو فى ضلاله ونسيانه وجحوده وكفرانه إذا به فجأة بين يدى الله سبحانه وقد سمع منه ما قال .. ورأى كل ما فعل .. فيا ترى بماذا يجيب وكيف يجيب إذا سأله سبحانه أشكرت وكيف شكرت ؟ .. أم كفرت ولماذا كفرت ؟ .. أأقررت وكيف أقررت ؟ .. أم جحدت وكيف جحدت ؟ ..

إنه إذاً لأمر رهيب والأشد رهبة أنه لامحيد عنه إطلاقاً ولا ريب فيه ..

فهل يمكن أن يخفف الإنسان منا عن نفسه شدة هذا اليوم ..

إنه ليوم عصيب لامفر منه ولاهروب فيه ..

فهل يستطيع الإنسان منا أن يدفع عن نفسه هول هذا اليوم ؟ ..

ويبدأ إحساس الإنسان بهول هذا اليوم من لحظة انتقاله إلى الحياة الأخرى .. فهو يعيش فى حياته الثانية مع عمله وقوله ويرى أن كل ما اغتصبه من غيره وكل ما أخذه بغير حقه قد تركه فى حياة الفناء وأخذ معه وزره وماوجب عليه فيه القضاء فهلا تصورنا حالة الإنسان وهو ينتظر اليوم

الذى سيطالب فيه بدفع ثمن ما أخذه وفقده وليس معه هذا الثمن وليس من منجد أو مقرض، فلكل .. يومئذ شأن يشقيه .. فهذا اغتصب مالا وتركه فى الدنيا ولم يأخذ معه منه شيئاً وقد عرف أنه لابد أن يرده إلى صاحبه ولامال عنده ولا شبهة فى الحكم ولا دفاع أو جدال .. لقد عرف وآمن .. ولكن بعد فوات الوقت .. وهذا قتل وحرص على ألا يراه أحد فنجا من عقاب الدنيا فكيف به وهو يرى صورته وهو يقتل بل يعيش فى هذه الصورة ويعلم أنه فى انتظار يوم القضاء .. فى يوم سيجتمع مع المقتول بين يدى الله سبحانه وتعالى وأنه قبل أن ينطق القتيل ستنطق أعضاء القاتل .. وليس القتل بل السرقة .. بل الذنب ومجرد الذنب الصغير .. كل ما قدمته اليد وما سعت إليه القدم .. وكل ما تحركت من أجله جارحة وكل ما هفت إليه النفس أو نطقت به ألسنة ونظرت له أعين وتلصصت لأجله آذان .. سيعلم الإنسان منذ لحظته الأولى فى حياته الثانية أن كل ما فعله ستنطق به جارحته وسيعلم ما قصدت إليه الآيات الشريفة التى تقول ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا

لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُّم عَلَينَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىءٍ وَهْوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ . وَمَا كُنتُم تَستَتِرُونَ أَن يَشهَدَ عَلَيكُم سَمعُكُم وَلَا أَبصَارُكُم وَلَا جُلُودُكُم وَلَكِنْ ظَنَنتُم أَنَّ اللهَ لَا يَعلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعمَلُونَ . وَذَلِكُم ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُم أَردَاكُم فَأَصبَحتُم مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ .

لذلك فإن الندم هو أول ما يحس به الإنسان منذ لحظة انتهاء حياته فى الدنيا مهما كان عمله فيها .. حتى ذلك الذى أنفق أيامه فى الخير والعبادة يندم على أنه لم يستزد من الخير أكثر وأكثر ولم يجتهد فى العبادة اجتهاداً أكبر .. فكل ما أجهد الإنسان نفسه من أجله قد تركه تماماً ولم يأخذ معه إلا حسابه عنه .. فهذا المال الذى جمعه وأمضى حياته فى حفظه سيتركه لغيره كما حصل عليه من غيره .. وهذا المال كان عند آخر فأخذه .. ولابد أن يتركه حتى يأخذه من بعده من سيتركه أيضاً .. وهذه الأرض التى أفنى حياته فى حبها والمحافظة عليها والاستزادة من قدرها .. كم كان يتلذذ عندما يمر بها فيسأله عنها سائل فيقول إنها أرضى .. ألم يعلم أنها كما كانت

من قبله لغيره سيأتى بعده من يغتر بها ويقول إنها أرضى .. كم من اعتقد خاطئاً أنه ملكها .. فأصبحت له . ولايعرف أنه إنما يمر عليها شأنه شأن الآخرين .. الأولين من قبله .. والتالين له من بعده .. كم أفنت الأرض من أصحابها . وبقيت هى أرض الله سبحانه . . وحقاً وصدقاً ما تقوله الآية الشريفة ﴿ إِنَّا نَحنُ نَرِثُ الأَرضَ وَمَن عَلَيهَا وَإِلَينَا يُرجَعُونَ ﴾ .

وكذلك هذا الجسد الذى أول ما ينهض الإنسان من نومه اختبره وتحسسه ليطمئن على سلامته لقد انفق فى سبيل المحافظة عليه كثيراً وأجهد نفسه لحمايته طويلا .. سيراه الإنسان بروحه فى حياته الثانية وقد أصبح تراباً يمشى عليه الناس كما نمشى نحن على تراب أجساد غيرنا .. وهل هذا التراب كله إلا من أجساد الملايين قبلنا ؟ .. وإلا أين أجساد البشر منذ آدم ؟ .. ألا يندم الإنسان عندما يرى ذلك حقيقة واعية ؟ .. وألا يندم لأنه ترك المال وكان يمكنه أن يشترى به وهو فى الدنيا ما يأخذه معه من عمل صالح .. ولكنه حرص على كنز المال حتى يتركه بأكمله والأرض كذلك قد زرعها بالثمر الذى يتركه ولا يستطيع أن يأخذه معه .. وكانت لديه الفرصة أن يزرع ما يمكنه أن يأخذه معه من ثمره .. ولكنه أنكر وغوى .. والجسد الذى أعانه بالعناية والدواء وقد

أنهكه السعى فى ملذات الدنيا .. قد انتهت لذائذه وماتت غرائزه . . . لو استخدمه فيما يجعله يحسن الشهادة عليه ويشفع له ..

ندم .. وأى ندم .. فى يوم لاينفع الندم .. لقد انتهى الأمر وانفض السامر فلا بيع ولاشراء . . ولحظتها يقول الإنسان ليتنى أعود فأتزود ليوم اللقاء .. ولكنها كلمة لاتعنى أكثر من الرجاء فى أمر قد انقضى وعلى الإنسان انتظار القضاء ..

فى حياتنا الدنيا بضاعة كاسدة سوقها راكدة .. العبادة والإيمان . . حسن العمل والإحسان . . هذه كلها لاثمن لها ولا تعب فيها ومن شاء استزاد .. ومن أراد حصل عليها بلا مقابل أو استئذان .. هذه البضاعة الكاسدة الراكدة تنقلب فى الحياة الآخرة إلى بضاعة غالية سوقها نادرة بل إنها كل شىء وغيرها لا شىء .. وإن سوقها لا يؤمه غير صاحبها فلا بيع منها أو شراء ولا رجوع فيها أو استبدال .. وكل عمل للإنسان إنما يوضع فى الميزان .. أمام الله الواحد الديان .

لقد انفتحت أمام قلوب الصالحين سبل المعرفة فعرفوا بأمر الله وبإرادته ومشيئته ما جعلهم يقضون حياتهم

كلها فى عبادة وعمل صالح يقربهم إلى مولاهم الحق .. لقد حفظوا ألسنتهم وطهروا قلوبهم ولم تلههم دنياهم بل شغلهم فى حياتهم آخرتهم ولعل مما يقرب إلينا معرفة حالهم ما يصفه الحسن رحمة الله عليه إذ يقول فيهم « أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شىء منها أدبر وهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطئونه بأرجلكم أدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى أدمعهم على خدودهم يناجون ربهم . إذا عملوا الحسنة فرحوا بها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم » .

هؤلاء وأمثالهم قد استمعوا إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففهموا ما به .. وعملوا بما يدلهم عليه فلقد شاءت إرادة الله فكانت آخر ما خطب سيدنا رسول الله وصيته للمسلمين بألا يعتدوا على دماء أو أموال وإعلانه للمسلمين بضرورة رد الأمانات على اختلافها لأصحابها إذ أننا جميعاً سنلقى الله ويسألنا عن أعمالنا وذلك بالنص الذى ورد فى خطبة الوداع فى حجته الأخيرة إذ قال بعد حمد الله والثناء عليه « أيها الناس ، اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى

لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت .. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » .

فيا ترى كم يكون مبلغ الندم عندما يجد الإنسان أن حياته الدنيا قد انقضت وكأنه لم يلبث فيها إلا ساعة من نهار وقد أنفقها كلها فيما تركه فيها ولم يأخذ منها إلا ما يأسف عليه ويندم بسببه .. هذا الحرام الذى خالط دمه وجرى فى عرقه انبت لحماً أكله التراب وترك ذنباً عليه أدق الحساب وأبشع العذاب .. هذا القول الذى أراد به عرض الدنيا وزينتها فنال به من غيره سيظل يدوى فى سمعه ويأسف على أنه نطق به . فهل إلى النجاة من سبيل ؟ ..

ويا ترى كم يدوم هذا الندم ؟ .. إنه يبدأ منذ اللحظة الأولى فى الحياة الثانية ويظل إلى أن تقوم الساعة .. فيا ترى متى تقوم الساعة ؟ .. وهل إلى مفر منها من سبيل ؟ ..

ما أكثر ما يستطيعه الإنسان وهو فى حياته الدنيا ....

وما أيسر الطريق الذى إن سلكه المرء خفف الله عنه هول أمره فى العاجلة وأنجاه من شر يوم الآخرة ..

ما أسهل طريق الله .. وما أوسع الباب .. باب الله الذى يهدى إليه سبحانه وتعالى من استقام من عباده وتاب . . ولايرد عنه كل من لزمه والتزم بواجبه وأناب.؛

وإذا كان الإنسان لايعلم متى يحين حينه ولايعرف، متى ينتهى من الدنيا أمره .. فكل لحظة تمر دون أن يجتهد فى السعى ليكون فى الطريق إلى الله إنما سيأتى اليوم الذى يندم عليها أشد الندم ..

وكل حركة للإنسان لاتكون نحو باب الله سيأسف عليها الإنسان أشد الأسف ..

وإذا كان قد انقضى من العمر أكثره .. بل حتى لوكان ما انقضى هو أقله .. فما أسرع مرور الزمن .. وما أقصر العمر .. مهما طال .. وما أقرب الساعة .. مهما بعدت .. وإنها لآتية لاريب فيها تلك اللحظة التى نغادر فيها الدنيا ونستقبل الآخرة ..

فلماذا لانبدأ الآن .. فى التو واللحظة .

لماذا لا نتجه إلى الطريق . . إنه الطريق الذى لا محيد عنه .. ولانجاة بغيره .. إنه طريق النجاة .. فإذا عزمنا ونوينا وانتهى الأجل كان لنا ما عزمنا عليه ونوينا به ..

وإذا طال بنا الأجل فإن كل خطوة نتقدمها سيساعدنا الله على أن تكون خطوات.. وسنحس عندئذ بأن الحياة مهما طالت فهى قصيرة على خدمة الطريق . . وأنها وإن قصرت فهى طويلة لأنها تحجب عنا أنوار الطريق ..

فلابد للإنسان الآن من وقفة يستعرض فيها ما مضى وعلى ضوء ما قال وما فعل فى حياته فإنه لابد سيندم .. فإذا ندم .. ألا يعزم على ألا يعود إلى ما قال وفعل .. ؟ .. فإذا عزم فقد تاب .. وليستغفر الله عما مضى فإن الله يغفر ذنوب من تاب .. ويحمد الله على ما أصبح فيه فمن هداه الله إلى المتاب فقد أصبح من الأحباب .. وعليه بذلك أن يتابع السير فى الطريق حتى يصل إلى الباب ..

إذ ما أقسى الندم يوم لاينفع الندم وينتظر الإنسان يوم الحساب .. وما أشد يوم الفصل يوم يجتمع الناس أمام الواحد القهار .. فإما جنات الخلد وإما إلى سوء الدار ..

ورضى الله على سيدنا على إذ شوهد كثيرا وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم فى محرابه قابض على لحيته يبكى وينتحب ويقول (آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد) .. لقد عرف من الحقائق ما جعله يقف

هذا الموقف فقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وقد فهم الصحابة والتابعين ما جعل مجاهداً يقول « لاتزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه » .

إنه لأمر رهيب حقاً .. ويوم لاريب فيه .. وإن أهوال هذا اليوم لما لاتخطر على بال .. ألم يقل فيها القرآن الكريم ..

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وما هُم بِسُكَارَى وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَاخْشَوْا يومًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عن وَالِدِهِ

شَيئًا إنَّ وعدَ اللهِ حَق فلا تَغُرنَّكُم الحياةُ الدُّنيَا وَلَا يَغُرَّنكم بِاللهِ الغَرُورُ ﴾ .

﴿ يومَ يَفرُّ المَرءُ مِن أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امرِئٍ منهم يَومَئِذٍ شَأنٌ يُغنِيهِ ﴾ .

وألا ندرك بعض قدر الهول عندما تقرر الآيات الشريفة أن الإنسان يود أن يفتدى نفسه . . بأعز من عنده . . وهم بنوه . . بل بكل من فى الارض بالنص الشريف ﴿ يومَ تَكُونُ السَّمَاءُ كالمُهلِ . وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهنِ . وَلَا يَسئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبصَّرُونَهُم يَوَدُّ المُجرِمُ لَو يَفتَدِى من عَذَابِ يَومئِذٍ بِبَنِيه . وَصَاحِبَتِه وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ التِّى تُؤوِيه . وَمَنْ فِى الأَرضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ . كَلَّا إنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى . تَدعُو مَن أَدبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوعَى ﴾ .

زاد الطريق

الله موجود ...

تلك حقيقة لم تعد فى حاجة إلى أدلة أوإثبات .. فإن الحقيقة الكبرى التى يؤكدها هذا الوجود بوحداته وتشير إليها الحياة فى كافة صورها ومختلف أطوارها هى حقيقة وجـــود الله . . وكل ما يتخيله الإنسان من عظمة الله وقدرته مهما اتسع به الخيال وبعد به التصور فإنه أعظم وأكبر مما نعتقد ومما نظن ومما نتخيل .. فهذا الوجود وهو كما رأينا وهذه الحياة وهى كما شاهدنا .. لم يأخذ منه سبحانه وتعالى أمر وجودها وقيامها إلا مشيئته فتم أمر الوجود وقامت الحياة .. وسيظل الوجود وتبقى الحياة ما قضت مشيئته ...

والإنسان مهما طالت به الحياة وامتد به العمر ، فإنه يسير فى طريق الارتحال وأنه ما دام فى الدنيا فلابد له من الانتقال .. هذا أمرنا .. طريق أوله الدنيا .. وآخره الموت.. يبدأ بالميلاد وينتهى كذلك بالميلاد .. يولد الإنسان أول مرة إلى حياة فانية .. ثم يولد مرة أخرى إلى حياة باقية .. فعلى قدر الحياة يجب أن يكون العمل .. فحياتنا الدنيا فانية .. وحياتنا الثانية باقية .. فمن باع الفانية واشترى الباقية فقد فاز أما من آثر الفانية على الباقية فقد خاب ..

والحياة الدنيا ليست فقط طريق السير إلى الحياة الثانية بل إنها مزرعة الآخرة .. كل قول وكل عمل فيها إنما هو غرس الإنسان لنفسه .. فهل من يرتضى أن يزرع لنفسه شوكاً .. أم ترى يحاول الإنسان جهد استطاعته أن يزرع خير ما يستطيع ليحصد أفضل ما يمكن أن يكون .. ؟ .. إن الكلم الطيب ما أيسره فى الدنيا وما أفضـــله فى الآخرة . . والعمل الصالح ما أهون القيام به ولكن ما أعظم شأنه فى الحياة الباقية . . إذ أن كل امرئ سيعيش بعد حياته الفانية فى جو كلماته طابت أو خبثت وفى ظل أعماله صلحت أو فسدت ..

وإذا كان الإنسان يجهد جسده ويشحذ ذهنه ويقضى طوال عمره فى جهاد وصراع فى سبيل حياة فانية وليت هذا نهاية الأمر بل أنه مما يؤلم أن يترك الإنسان قطعاً وبصفة دائمة كل نتائج جهاده وعمله : فلاالمال يأخذه معه ولا ولد يجازى بدلا عنه .. ولا يصاحبه من الدنيا فى رحيله قريب ..ولا يزامله فى رقدته حبيب .. فيا ترى كيف يجب أن يكون استعداد الإنسان وجهاده فى سبيل حياة باقية .. ويا ترى كيف يكون إقباله على الأعمال التى سيأخذ معه ثمارها .. وستظل دالة عليه آثارها ..

إن الإنسان إذا أراد السفر ... أى سفر ... فإنه يعد زاده ويحرص على عتاده ويطمئن على سلامة الطريق ويجتهد فى إختيار الرفيق ويظل فى إعداد واستعداد حتى يحين الموعد .. وكلما اقترب هذا الموعد كلما أسرف فى البحث والاجتهاد حتى يطمئن إلى أنه قد أعد لكل أمر عدته وأنه قد تزود بكل ما يذلل له أى عقبة وهو برغم ما أعده يعتبر السفر مشقة وأى مشقة .. وكلما طال الطريق وبعد السفر كلما زادت عنايته وكثرت استعداداته .. وهو كذلك يخاف على أهله وبنيه فيبحث عن أمين صادق ليسأل فى غيبته عنهم ويشرف دائماً عليهم ويدفع أى سوء قد يصيبهم ويوفر لهم حاجاتهم .. وأيضاً يتخذ كافة وسائل المحافظة على ماله والاطمئنان على حسن سير أعماله .. فيعين البديل ويرسم له الطريق .. ويترك لديه الدليل .. وفى هذا يطالبه بالرجوع إليه ما أمكن والاتصال به ما استطاع .. وهكذا كل إنسان يستعد للسفر أى سفر .. يتخذ كل ما يستطعه من أسباب الحيطة والمحافظة على نفسه فى سفره .. وعلى أهله وولده فى فرقته .. وعلى ماله ومتاعه فى غيبته .

وبديهى أنه كلما طال السفر وبعدت الشقة كلما كان استعداد الإنسان أكثر وفترة العمل لها أطول .. وكلما كان الطريق

مجهولا .. كلما كان خوفه كبيراً .. واضطرابه عظيما .. وبالتالى كان استعداده كثيراً ..

فيا ترى .. هل فكر الإنسان منا .. فى مستلزمات سفره الطويل .. الطويل جداً .. فى طريق مجهول .. غير معلوم .. لايسير الإنسان فيه إلا مرة .. وما سار فيه المسافر وعاد .. ليحكى ما وجد .. ولابد أن يسير فيه كل العباد ..

هل أعد الإنسان منا زاده ؟ ... وهل حرص على عتاده ؟.

وهل اطمئن على سلامة الطريق ؟ .. وهل اجتهد فى اختيار الرفيق ؟ ..

وهل يا ترى ذلك من الأمور الشاقة .. أم أنه أمر جد يسير .. ؟ ..

وكيف السبيل ؟ ...

إن زاد الطريق هو تقوى الله .. إذ يقول المولى جل شأنه

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَى ﴾ .

وإن السبيل إلى النجاة والفوز هو طاعة الله فيقول سبحانه

﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ ورسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾ .

فهلا أطعنا الله .....

لقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الوجود بكل مشتملاته بقدرته وعظمته ولم يشرك معه فى خلقه أحداً .. وعلى ذلك لا يعرف إلا الله وحده كيف خلق هذا الوجود ولا مادة الخلق ولا أين كانت .. ولا كيف كانت .. والإنسان وهو أحد وحدات هذا الوجود .. وهو من أقل هذه الوحدات إن لم يكن أقلها إذا قيس بالنجوم والكواكب وماالانراه من عوالم أخرى .. لم يصل ولن يصل إلى كشف سر الخلق فى نفسه .. فقد عرف أن جسمه يتركب من عناصر حددت أنواعها ومقاديرها .. ومن روح اختلفت الآراء فيها ، وكل ما وصل إليه العلم بشأنها إنما هو على سبيل الاجتهاد من إنسان أراد أن يجتهد فبحث وظن وتخيل ثم قرر .. ولكن هل الإنسان هو هذا الجسم المادى الذى عرفت عناصره والروح التى تحتله ولم تعرف بعد ماهيتها ؟ .. وإلا فما هو الذكاء ؟ .. وما هى الذاكرة ؟ .. وما هو العقل ؟ .. وما هو الشعور ؟ .. هل هى مواد خلقت وموجودة فى الجسم يمكن فحصها وتحديدها ؟ .. أم هى أسماء لوهميات غير موجودة ؟ .. وأين توجد كل هذه ؟ .. وكيف تتكون؟.. إن الأمور المجهولة فى الإنسان كثيرة وعميقة وهذه الأسرار

لايعلمها إلا الله وحده فهو خالق هذا الجهاز الدقيق العجيب الحافل بالأسرار ...

إن المهندس الذى يصنع جهازاً أى جهاز مهما كان ، لابد أن يضع التعليمات ليسير عليها صاحبه . . ولا يمكن أن نشترى جهازاً إلا إذا حصلنا على بطاقة الإرشادات واستوعبنا التعليمات واستفسرنا وكررنا تفهم ما يجب علينا وما لايجب عمله فى إدارة الجهاز كما ينصح صانعه .. وإنا لابد مطيعين حتى نضمن سلامة الجهاز صغر أو كبر .. دق أو عظم .. وما أبعد الفرق بين أى جهاز وبين الإنسان .. فإذا كان صاحب الجهاز يطيع صانعه .. ألا يطيع الإنسان خالقه ؟ ..

فهلا أطعنا الله . . .

والطبيب الذى نستدعيه عند المرض ؛ نطيعه فيما أمر طلباً للشفاء لثقتنا أنه يعرف العلة ويصف الدواء فكيف بالله سبحانه الذى خلق الإنسان وأوجد الطب وألهم الدواء .. ألا نطيعه الطاعة العمياء ؟ .. إن صالح الإنسان فى حياته ومماته .. دنياه وآخرته فى طاعة الله .. الذى عرف فخلق .. وعرف فأمر .. فكيف لانطيع ؟ . إلا إذا رغبنا فى الخسارة وأردنا الدمار .. فطاعة الله أمر لابد منه .. ولامحيد عنه

يستوجبه العقل والمنطق والإدراك فالله خالق الإنسان وهو العليم الخبير بما يجب أن يكون عليه هذا المخلوق ...

فهلا أطعنا الله ...

وكل وحدات الوجود غير الإنسان إنما هى فى طاعة الله طاعة تامة .. فبالطاعة قامت السماوات والأرض بنص القرآن الكريم فى الآية الشريفة ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوعًا أَو كَرهًا قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِينَ ﴾ .

ومنذ ملايين السنين والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس وتجرى الشمس بسرعة مقدرة وفى مدار محدود والقمر يدور فى فلك معين ولأمر مقصود وكذلك النجوم والأفلاك .. وكل ذلك إنما تم ويتم بطاعة الله .. كما يتم كذلك أمر الليل والنهار بنص الآية الشريفة ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾ . بل إن الفلك إنما تجرى فى البحر استجابة لأمر الله وهكذا تسير الأنهار طاعة لله ... وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ اللهُ الذى خَلَقَ

السَّماواتِ والأَرضَ وأنزَلَ مِن السَّماء مَاءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمرَاتِ رِزقًا لَكُم وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلكَ لِتَجرِىَ فِى البَحرِ بِأَمرِه وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ ﴾ . . وإذا تدبرنا فى كل ما حولنا وجدنا أن هذا الوجود بما فيه تحكمه الطاعة حتى الطير يضرب بجناحيه فى السماء . . بالنص الشريف

﴿ أَلَم يَرَوْا إِلَى الطَّيرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّماءِ مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا الله إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

وصدق القرآن الكريم الذى يقرر حقيقة طاعة ما فى السموات وما فى الأرض لله بالنص الشريف ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِى السَّماوَاتِ وَمَا فِى الأَرضِ جَمِيعًا مِنهُ إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتفَكَّرُونَ ﴾ .

والنباتات بأنواعها المختلفة وأصنافها المتعددة والحيوانات بأشكالها وألوانها المتباينة والطيور بأحجامها وأنواعها والأسماك والإنسان كل هذه المخلوقات كيف خلقت أفرادها الأولى ؟ ... ألم يتم ذلك بقوله سبحانه كن فيكون . بنص الآية الشريفة ﴿ إِنَّمَا أَمرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئًا أَن يَقُول له كُن

فَيَكُونُ ﴾ . . وأليس ذلك هو الأمر من الله . . وهذه هى الطاعة لله ؟ . . واستمر النسل والتوالد امتثالا لإرادة الله وطاعة الله .

وكما رأينا ... يحاول العالم أن يفسر ما يراه من ظواهر الكون بقوانين وحقائق فلا يلبث إلا أن يجد الوجود تحكمه قوانين وعكسها تماماً وأنه تتم فى الحياة أمور لايمكن أن يعرف الإنسان إلا أنها تنتظم تحت حكم دقيق .. وأمر كريم .. وأنه لاشىء يحكم الوجود بكل وحداته .. إلا الطاعة .. والإنسان أحد وحدات هذا الوجود .. ألا يطيع ..

فهلا أطعنا الله ...

إن معصية الخالق وعدم طاعته فى أى مما أمر به سبحانه وتعالى إنما هى خروج على الإجماع ، وتعطيل فى جزء من نغمة عامة يهتف بها الوجود ومحاولة لقطع سلسلة الحياة فيما لايعلم الإنسان حالياً مداها وأثرها إلا عندما يقف العاصى أمام صاحب الأمر ويرى الجماد والهوام والنجم والشجر قد أطاعت وعصى هو .. فعندما يسأله الله جل شأنه .. كيف لم يستجب؟ هل يستطيع أن يجيب ؟ ..

فهلا أطعنا الله ...

وخلق الله الإنسان ليكون فى الأرض خليفة بنص الآية الشريفة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ومن حق المستخلف على من يستخلفه الطاعة التامة فى كل ما يأمر به والانقياد الكامل لكل ما يوجهه إليه . . بلا جدال . أو نقاش . . وإن أول ما يتخذ فى شأن الخليفة إذا شق الطاعة على مولاه هو العزل فوراً ثم الجزاء .. وما أبعد الفارق بين حالنا مع الله سبحانه وتعالى وأى وال ومن يستخلفه . . فيا ترى كيف يكون حال الإنسان إذا عصى ربه .. ألايكون قد خالف الحق . . وشذ عن العرف . وضل عن الهدى . . ولم يحقق الغرض الذى من أجله خلق الإنسان .. إن من عصى الله ولم يطعه فكأنما يريد الامتناع عن أن يكون خليفة الله فليبحث له عن مولى غير الله . . ليكون من الخاسرين الضالين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وإلى يوم الدين . وصدق الله العظيم الذى يقول فى القرآن الكريم ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ ، ﴿ وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ له نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

إن معصية الله لمن الأمور التى لا يمكن أن يخطر على البال قدر خطرها فالمعصية كانت سبب طرد إبليس اللعين من الجنة وحرمانه من رحمة الله حرماناً دائماً عندما أمره الله سبحانه وتعالى أن يسجد مع الملائكة لآدم فسجدوا جميعاً إلا هو فقدعصى ولم يطع واختلق لنفسه سبباً اعتذر به عن عصيانه وهو أن الله جل شأنه خلقه من نار بينما خلق آدم من طين .. فإبليس يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويشهد أن الله هو الخالق خلقه وخلق آدم ويؤمن بالبعث ويوم القيامة ويعترف بعزة الله ويقسم بها وذلك بنص الآيات الشريفة ﴿ إذ قَالَ رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ . فإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ . إلاَّ إبليسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ . قَالَ يا إبليسُ مَا مَنَعَكَ

أَن تَسجُدَ لِمَا خَلقْتُ بِيَدَىَّ أَستَكْبَرْتَ أَم كُنْتَ مِنَ العَالِينَ . قَالَ أنا خَيرٌ مِنهُ خَلقتَنِي من نَارٍ وَخَلقتَهُ مِن طِينٍ . قَالَ فَاخرُج مِنهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيكَ لَعنَتِي إلى يَومِ الدِينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنظِرنِي إلى يَومِ يُبعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ . إلَى يومِ الوَقتِ المعلُومِ . قَالَ فَبِعزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ . إلاَّ عِبَادَكَ منهمُ المُخلَصِينَ ﴾ .

ولكن عدم طاعة الله سبحانه وتعالى جعلته ملعوناً وكتبت نار جهنم عليه بل وعلى من تبعه من الناس بالنص الكريم ﴿ قَالَ فَالحَقُ والحَقَّ أَقُول . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم أَجمَعِينَ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

يعلم الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير أن الإنسان فى صراعه من أجل الحياة قد يخطئ ولابد أن يخطئ وأنه بعلاقته بالناس الذين لابد أن يتعامل معهم قد يذنب .. وما أكثر

الذنوب .. وما أشد العذاب وأقسى الحساب على الأخطاء والذنوب .. ولكن رحمة الله جل شأنه وسعت كل شيء ومن ضمن ما وسعته رحمته . . الإنسان فهو سبحانه اللطيف وهو الغفور .. وهو الرحمن الرحيم .. لذلك اقتضت رحمته وإحسانه وفضله أن يغفر لعباده ذنوبهم ويكفر عنهم سيئاتهم فأمرنا بالتوبة وهى أول الطريق إلى الله .. فيقول عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . فبالتوبة يتجرد الإنسان من ذنوبه وخطاياه التى سبقت ويزيل عن نفسه أدران الطيش والنزوات ويصبح نقياً من كل الذنوب نظيفاً من كل العيوب .. العيوب التى تظهر فى حياته الآخرة فيراها بنفسه ويراها فيه غيره . . والتوبة لها ثلاثة أركان .. الندم على ما فات والإقلاع عن الذنب والعزم

على عدم الرجوع إليه والندم يكون بالقلب وذلك بتذكر الذنب ويتخيل الإنسان كيف يظهر بذنبه أمام ربه . . وكيف سيرى العبد نفسه أمام العباد أجمعين وقد حمل كل الخطايا والذنوب مما تخجل معه الأنفس وترتعش القلوب ويتندى الجبين .. فإذا ندم العبد .. فلابد أن يستغفر الله عما قدمت يداه .. فإن ذلك وسيلة الإقلاع عن الذنب وعلى الإنسان أن يعزم وينوى ألا يرجع إلى ذنب إطلاقاً .. فإذا غلبه الشيطان وعاد إلى ذنب .. فعليه أن يبادر بالتوبة وذلك بالندم مرة أخرى والعزم صادقاً على عدم الرجوع إليه فإن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان قد يغلبه الشيطان فجعل باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه فيقول الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعمَلونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ . ومما يروى فى شأن التوبة أن العبد إذا ندم على ذنبه ورجع إلى الله وقال : « إلهى أنا أسأت فيقول الله تعالى : وأناسترت . فيقول : إلهى أنا ندمت فيقول الله تعالى : وأنا قبلت . . أيها الشاب إذا تبت ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا وإذا نقضت ثانياً فلا تستحى أو يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثاً وإذا نقضت ثالثاً فارجع

إلينا راجعاً ، فأنا الجواد الذى لا أبخل وأنا الحليم الذى لا أعجل وأنا الذى أستر على المعاصى وأقبل التائبين وأعفو عن الخاطئين وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين . من ذا الذى أتى إلى بابنا فرددناه ؟ . . من ذا الذى لجأ إلى جانببنا فطردناه ؟ .. من الذى تاب إلينا وماقبلناه ؟ . من ذا الذى طلب منا وما أعطيناه ؟ . من الذى استقال من ذنبه فما غفرناه ؟ .. أنا الذى أغفر الذنوب وأستر العيوب وأغيث المكروب وأرحم الباكى الندوب وأنا علام الغيوب » . .

وقد ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتوب ويستغفر فى اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة مع أن الرسول الكريم بعيد كل البعد عن الذنوب إلا أنه يعلمنا نحن أن نكرر التوبة والندم كلما تكررت الغفلة .

والذنوب قد تكون فيما بين العبد وربه وهذه توبتها بالندم والاستغفار وعدم العودة إليها .. وقد تكون بين العبد وغيره من العباد وهذه لابد لتوبتها من إعادة الحقوق إلى أصحابها ورد المظالم إلى أهلها ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا فإذا لم يستطع رد ما اغتصبه فعليه بالصدقة والإكثار منها وأما الذنوب غير المادية كالغيبة مثلا فتكون بالثناء على من اغتاب وأن يتحلل العبد منها ويطلب التسامح والصفح والعفو من صاحب الشأن الذى اغتصب منه ما اغتصب أوسبه أو

اغتابه وقد يكون التسامح والصفح عاماً حتى لايثير الإنسان شك زميله .. وفى كل ذلك لابد للإنسان أن يندم من قلبه ندماً شديداً وأن يستغفر الله استغفاراً طويلا وأن يعزم على عدم العودة عزماً أكيداً ...

ويجب على الإنسان ألا يؤخر التوبة أو يسوف فيها فلايعلم الإنسان متى يحين حينه .. فإذا حان الحين قبل التوبة فقد حمل الإنسان ذنوبه كاملة .. ولاتنفع التوبة كذلك عندالانتقال مباشرة إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أى تبلغ روحه حلقومه .. وكذلك يقول « هلك المسوفون » ..

وليطمئن العبد على قبول توبته ومغفرة ذنوبه ، مهما كانت طالما قد أخلص التوبة وصدق االوعد فيقول الله جل شأنه وهو الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أنفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ . وآيات القرآن الكريم التى بشرت التائبين بالمغفرة كثيرة مثل ﴿ وَإِنِّى لَغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن

بَعدِهَا وآمَنُوا إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

هذه هى التوبة التى دعا الله سبحانه وتعالى عباده إليها وأمرهم بها فى آيات كثيرة مثل ﴿ وَتُوبُوا إلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤمِنُون لَعَلَّكُم تُفْلِحُون ﴾ . وهذه هى بعض ثمرات التوبة ..

فهلا أطعنا الله ...

ويدعونا الله سبحانه وتعالى إلى أن نؤمن به جل شأنه فى الآيات الشريفة التى أنزلها قرآناً كريماً على خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين مثل ﴿ قُل يَا أَيُّها النَّاسُ إنِّى رَسُولُ اللهِ إليكُم جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِي الأُمِي الَّذِى يُؤمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبلُ وَمَن يَكفُر بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ .

وقد أثبت العلم بأدلته التى لايرقى إليها ظل من شك أن الله موجود .. فعلماء الفلك عندما يدرسون فى مراصدهم السماء وما فيها نجدهم يصلوا إلى حقيقة وجود الله وعظمته وكلما زادت وسائل دراساتهم واتسعت آفاق أبحاثهم كلما زادهم ذلك إيماناً وتسليما . وعلماء الطب عندما توغلوا فى جسم الإنسان بمباضعهم وأجهزتهم وجدوا فى كل جزء منه النداء القوى الذى يردد اسم الله وقدرته . وعلماء الحياة الذين وصلوا فى أبحاثهم إلى دراسة الخلية ومكوناتها وقفوا عند لغز الحياة وبدايتها وهتفوا هذه إرادة الله ولا شىء غير ذلك . وكل فروع العلوم وكل جديد فى الدراسات إنما هى دعوة إلى الإيمان بالله .. وأن العلماء فى عصرنا الحديث الذى يتميز بالعلم أصبحوا دعاة للإيمان أئمة للتوحيد وإذا كان هذا هو ما وصل إليه العلم فى أبحاثه فإن العقل والمنطق والفطرة كل هذه إنما تشير إلى هذه الحقيقة ولاحقيقة تعدلها إطلاقاً .. وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ لَيَقُولُن اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحيَا به الأَرضَ مِن بَعد مَوتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ

قُلِ الحمدُ للهِ بل أكثرُهم لا يعقلونَ ﴾ ، ﴿ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَن خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤفَكُونَ ﴾ .
وعلى ذلك فإن الله سبحانه وتعالى وهو يدعونا إلى الإيمان به جل شأنه إنما يدعونا إلى الحق المبين الذى تؤيده العلوم ويدعو إليه العقل وتشير إليه كل شئون الحياة .

والإيمان بالله عز وجل إنما هو سبيل الحياة السليمة الصحيحة فى الحياة الدنيا فقد أثبتت الأبحاث الطبية والنفسية والعصبية أن الإنسان الذى يؤمن بالله عصىٌّ على القلق بعيد عن أمراض النفس مطمئن القلب ثابت العقيدة محفوظ الوجدان يعيش فى يسر وأمن وسهولة فإن إيمان الإنسان بالله يدفع عنه كل أسف أو ألم أو غضب .. ويجعله يستقبل أحداث الحياة رضى النفس قرير العين مرتاح الفؤاد وأن ما كتب لبيان ذلك بمختلف لغات العالم من الأخصائيين لأكثر من أن يحصى أو يعد .. والقول الحق .. ما قاله القرآن الكريم فى هذا الشأن فى مثل الآيات الشريفة ﴿ وَمَن يُؤمِن بِاللهِ يَهدِ قَلبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيم ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ أَلَا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ .

أما جزاء الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى فى الآخرة

فالجنة والنعيم بنص الآيات الشريفة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُم وَحُسنُ مَئَابٍ ﴾ ، ﴿ وَمَن يُؤمِن بِاللهِ وَيَعمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرى مِن تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾ ، ﴿ وَمَن يُؤمِنْ بِاللهِ وَيَعمَل صَالِحًا يُدْخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِنْ تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبدًا قَدْ أَحسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ .

أما هؤلاء الذين كفروا فلا يمكن للإنسان أن يتخيل كيف يكون حالهم وهم يعرضون على ربهم يوم القيامة .. ويقول القرآن الكريم ﴿ حَتَّى إذا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبتُم بَآيَاتِي وَلَم تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمْ مَاذا كُنتُم تَعمَلُونَ . وَوَقَع القَولُ عَلَيهِم بِمَا ظَلَموا فَهُم لاَ يَنطِقُون ﴾ . هل يمكن أن يجيبوا ؟ .. وكيف يجيبون وبماذا ترى .. يعتذرون ؟ .. إن جهنم لمثواهم ولبئس المصير .. وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ وَمَنْ لَم يُؤمِن بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعتَدنَا لِلكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ ، ﴿ قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالا ،

الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُون أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا . أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِه فَحَبِطَت أَعمَالُهُم فَلَا نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيَامةِ وزناً . ذَلِكَ جَزَاؤُهُم جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا واتخَـذُوا آيَاتِي ورسلى هُزُواً ﴾ .

هذا هو جزاء المؤمنين وهذه هى عاقبة الكافرين ..

فإذا دعانا الله سبحانه وتعالى إلى أن نؤمن به جل شأنه ألا يدعونا إلى ما فيه خير حياتنا وسعادة آخرتنا ..؟

فهلا أطعنا الله ...

والإيمان بالله سبحانه وتعالى يجب أن تفيض به الجوارح ويعمر به القلب ويملأ شعاب النفس ، فالمؤمن بالله حق الإيمان يعتقد تمام الاعتقاد أن الأمر كله إنما مرده إلى الله وأن كل ما أصابه ما كان ليخطئه وأن ما أخطأه ما كان ليصيبه فالله هو الفعال لما يريد وأن كل ما أصابه الإنسان من رزق فالله هو الرزاق وأن كل ما يفعله العبد فى الظاهر أو الخفاء إنما يعلمه الله جل شأنه فهو الرقيب فى السر والعلانية وهو يرانا ومعنا حيث كنا . يسمع ماتوسوس به أنفسنا ويعلم

خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. وهو الحي وغيره يموت وهو القيوم وهو العلى العظيم وكل ما تصورنا من عظمته فالله أكبر .. وكل ما تخيلنا من قدرته فالله أعظم ، فإذا كان ذلك هو ذكر الله بالقلب فإن التفكر فى آيات الله والتدبر فيها هو ذكر الله بالعقل .. وأما النظر فى كل ما يحيط بنا من نبات وحيوان وطير وإنسان والنجوم والرياح والأمطار والسحاب ورؤية جميل صنع الله فيما خلق إنما هو ذكر الله بالعين وقد طالبنا المولى سبحانه بذلك فى مثل الآيات الشريفة ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ أما ذكر الله باللسان فقد طالبنا الله به فى كل لحظة وحين وإذا ذكرنا الله سبحانه وجب تسبيحه .. والإنسان دائماً يذكر صاحب الفضل على قدر فضله عليه ويذكر من يحب قدر حبه له فيا ترى، كم يجب أن نذكر الله .. ؟ وبالرغم من أن ذكر الله وتسبيحه هو حق يجب على الإنسان ألا يغفل عنه لحظة وقد وجه الله سبحانه وتعالى نظر عباده إليه فى مثل الآية الشريفة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ . فإن الله جل شأنه قد أعد للذاكرين

والذاكرات مغفرة وأجراً عظيماً بنص الآية الكريمة ﴿ والذّاكرينَ اللهَ كثيراً والذّاكراتِ أعَدَّ اللهُ لهُم مَغفِرةً وَأجراً عَظِيماً ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بأداء العبادات التى لاتهدف إلا إلى خير الإنسان فى حياته الدنيا وآخرته .. فهل لولم يتعبد الناس جميعاً أتتعطل سنن الكون ؟ .. أم لاتقوم السماء ؟ أو تسقط الأرض ؟ .. إن الله جل شأنه خلق الإنسان من جسد وروح ، أما الجسد فمن تراب وأما الروح فمن أمره سبحانه .. فقد نفخ من روحه فى جسد آدم فكان أن أصبح إنساناً حياً وهكذا كل البشر ، أجسادهم من تراب وأرواحهم أصلها نفخة من الله .. ويتغذى الإنسان بأغذية أصلها من تراب حتى يمكن المحافظة على هذا الجسد فيعيش ويحيا فهل لو امتنع الإنسان عن الغذاء إلى أى فترة يا ترى يظل كائناً حياً ؟ .. وبعدها ألا يموت ويصبح الجسد شيئاً بالياً ؟ .. إن التراب يتغذى بتراب من جنسه وإن الشىء لينجذب إلى أصله .. فيا ترى ماذا يكون غذاء الروح ؟ .. وكيف تحاول الاتصال بأصلها ؟ .. إن الله سبحانه وتعالى أمرنا

أن نأكل الطيبات من الرزق ؛ النباتات والحيوانات والطيور والألبان والفواكه وهـــذا هو غذاء الجسد فاستجبنا . . ويأمرنا جل شأنه بالعبادات وهى غذاء الروح .. أفلا نستجيب ؟ .. لقد رسم الله لعباده طريق العبادة فجعل لكل أمة شريعة ومنهجاً حتى يمكنهم عن طريقها تغذية أرواحهم واقترابها من أصلها فيقول عز من قائل ﴿ لِكُلِّ أُمةٍ جَعَلنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فى الأَمرِ وَادعُ إلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ . ووهب الله عباده السمع والبصر والفؤاد وسيحاسب الإنسان على هذه الجوارح ما فعل بها .. وما لم يفعله بها ؟ وكان يجب عمله بها بالنص الشريف ﴿ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسئُولاً ﴾ . ولما كان الإنسان إذا اتجه بأذنه فإنه يسمع وكذلك إذا اتجه بعينه فإنه يبصر ؛ كذلك فإنه إذا اتجه بقلبه فإنه يحس ، وكما أن العين لا ترى إلا ما تستعد له بالرؤية والأذن لا تسمع إلا ما يكون فى قدرتها فكذلك الفؤاد لا تتكشف له الحقيقة . . ولا يقترب منها إلا إذا اتجه إليها وسلك الطريق الصحيح لها . . ولا يتم ذلك إلا بالعبادات التى قررها الله سبحانه وتعالى لعباده ، ومن أخلص العبادة

واستجاب لما أمر الله به انكشفت له من الحقائق قدر ما أخلص فى العبادة . . ولا يمكن لإنسان أن يصف ما يصل إليه بها . . فهو شعور وتخيل . . وهى حياة روحية .. لا يحس فيها الإنسان بما يحسه الحى فى دنياه المادية . ويختلف الإحساس من إنسان لآخر .. وإذا وصل الإنسان إلى أول طريقها فإنه يداوم على العبادة ويتفانى فى الإخلاص لها فهى أسمى وأجمل ما يمكن أن يتخيله الكائن .. إنها صلة قائمة مباشرة بالروح الأعظم .. يحس الإنسان بعظمة الله وقدرته وهى تغمره من كل جوانبه .. ويرى بعينى بصيرته النور الذى يعيش فيه ويملأ عليه كل حياته .. ومن عجب أن يدرس العلم هذه الحقائق فنرى أطباء عالميين مثل الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة يعترف بأن النشاط الدينى والإخلاص فى العبادة يقود الإنسان إلى حياة أخرى لايمكن وصفها فيقول هذا الطبيب « يتخذ النشاط الدينى صوراً مختلفة وهو فى حالته البدائية الأولى تعطش ونزوع مبهم نحو سلطان يعلو فوق الصور المادية والعقلية فى عالمنا . إن الجمال الذى يصل إليه الإنسان عن طريق ذلك أغنى من جمال أى فن وأبعد منه عن التعريف والتحديد إنه بدون صورة على الإطلاق ولايمكن التعبير

عنه بأى لغة وإنه يبدو لقلة من الناس عندما يحس الإنسان أنه ينفصل من نفسه شيئاً فشيئاً ويدخل فى الحياة النورانية أن روحه تنطلق بعيداً وراء المكان والزمان إنها تتصل بشىء يجل عن الوصف .. لقد شارف الحياة الاتحادية .. إنه يتأمل الله » هذا هو ما قاله العلم عن نتيجة الاستجابة لما يأمرنا الله به من عبادات ...

فهلا أطعنا الله ..

وتهدف العبادات التى أمرنا بها الله سبحانه وتعالى إلى سلامة الجسد وتغذية الروح وثواب الآخرة . فالصلاة التى أمرنا الله أن نؤديها وفرضها على المسلمين فرضاً بنص الآية الشريفة ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ والتى تكرر لفظها فى القرآن حوالى ٩٩ مرة .. تفيد الجسم فوائد عديدة .. فأوقات أدائها هى أنسب الأوقات لأداء حركاتها الجسدية لحفظ صحة الإنسان فقبل الشروق حيث الجو النقى المفيد وحيث مازال فى كسل النوم نجده فى حاجة إلى حركة عامة لتنشيط الأعضاء وينصح بذلك علماء التربية البدنية وحركات الصلاة تعتبر أكمل الحركات المطلوبة وأتمها وفى الظهيرة حيث يكون قد حل بالجسم التعب وفى العصر حيث بلغ الكد والإرهاق مبلغه نجد الجسم فى حاجة إلى الصلاة

وفى الغروب حيث يبدأ الإنسان مرحلة راحة وفى العشاء حيث يستعد للنوم نجد أن هذه الأوقات هى أنسب المواقيت التى يجب على الإنسان فيها أن يؤدى بعض الحركات الجسدية لتعويض الجسم ما فقده أثناء العمل اليومى ولإزالة ما به من آثار التعب وتجديد دورته الدموية . وقرر الأطباء كذلك أن الصلاة وسيلة هامة بل خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية وأن أوقات أدائها يكون الجسم فيها فعلا فى حاجة إلى تنشيط دورته الدموية .. أما أطباء النفس فإنهم وجدوا فى الصلاة الوقاية والعلاج من أخطر أمراض النفس وعللها مثل الخوف والقلق والاضطراب .. أما علماء المجتمع فقد قرروا أن الصلاة وسيلة إيجابية لإشاعة المحبة والسلام بين أفراد المجتمع وإعلان المساواة بصورة عملية بين الناس . أما الجانب الروحى من الصلاة .. فهو صلة العبد بربه إذ أن الإنسان فى صلاته إنما يكون بين يدى الله جل شأنه وهذا لايعنى أن الإنسان يكون بعيداً عن ربه فى غير الصلاة .. ولكن الصلاة دعوة من الله لعباده ليقفوا بين يديه فيشعر الإنسان فيها أنه وقد استعد للقاء الله واستأذن فى المثول بين يديه بتكبيرة الصلاة قد أصبح أمام المولى جل علاه يخاطبه ويدعوه ويستغفره .. ويا ترى كم يحب الإنسان أن يلقى حبيبه ؟ .. بل هل إذا أذن

عظيم أورئيس لعبد أن يلقاه كيف تكون فرحة العبد وحرصه على هـــذا اللقاء ؟ . . وكيف يستعد ويتخيل ويتصور هذا اللقاء ؟ .. وهل تغيب عن باله ذكريات هذا اللقاء .. ؟ وألا يتمنى لو عاد مرة أخرى إلى اللقاء ؟ . . فما بالنا بلقاء الله سبحانه وتعالى وقد حدد لنا كل يوم وليلة خمس مواعيد لأشرف وأعظم لقاء ..

كيف يكون إقبالنا عليه ؟ . وكيف يكون استعدادنا له .. ؟ . لقد عرف سلفنا الصالح هذه الحقائق فكان العبد منهم إذا أراد الصلاة اصفر لونه وارتعدت أوصاله ..خوفاً من الله .. ورهبة من لقائه .. وكانوا يطرحون مشاغلهم عن أذهانهم .. ويخلصون قلوبهم لله وحده .. ثم يدعون الله أن تكون صلاتهم مقبولة . . ان الإنسان إذا استحضر القلب والعقل والذهن والإحساس فى الصـــلاة ؛ فإنه يحس بالقرب من الله فتكون هذه أتم الصلاة .. وكلما تعود الإنسان الإخلاص فى الصلاة .. كلما زاده ذلك اقتراباً . هذا ولا تقتصر فوائد الصلاة على خير الدنيا يناله جسد الإنسان وروحه بل أن ثواب الصلاة فى الآخرة لشىء جميل ، الجنة .. يدخلونها وهم مكرمون بنص الآية الشريفة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ

مُكْرَمُونَ ﴾ . . أما الغافلون عنها فقد توعدهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم فى مثل الآيات الشريفة ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ، ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرْ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ .

∴ هذه هى الصلاة التى أمرنا بها الله سبحانه وتعالى ..

فهلا أطعنا الله ...

وفرض الله سبحانه وتعالى الزكاة وأمرنا بها فى آيات كثيرة من القرآن الكريم وكان المعروف أن الزكاة تهدف إلى خير الدولة الإسلامية ومجتمعها بما تحققه من عناية الأغنياء بالفقراء وتوفير الحياة الحرة الكريمة لهم إذ أن الفقير الذى يعيش وسط مجتمع أفراده يعيشون فى ثراء ولا يتجاوبون معه بتقديم ما يقيم أوده ويمسح عنه فقره يشعر بالحرمان الذى يتولد معه كراهية هذا المجتمع وبغض أفراده وما معظم الثورات التى تقوم فى الدول إلا وسببها الرئيسى الفقر وإحساس الفقراء أنهم متخلفون عن ركب المجتمع وإن مصرف الزكاة الذى حددته آية إنفاق أموال الزكاة ليؤكد أن الزكاة شمل خيرها الفقير والمسكين والدعاة إلى الإسلام وتحرير الرقاب والذين أثقلت كاهلهم الديون ولا يملكون

ما يوفون به دينهم والمجاهدين فى سبيل الله وابن السبيل، وأقرت أتعاب من يجبى الزكاة وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . وتؤكد الأبحاث العلمية والدراسات الاجتماعية أن الزكاة سبيل توفير الصحة النفسية للإنسان إذ يسعد الفرد بما يدفعه من حر ماله كما أنها تحرره من سيطرة حب المال على نفسه ، تلك السيطرة التى تؤدى بالإنسان دائماً إلى المرض . . وإذا كان الإنسان سيغادر دنياه وسيترك فيها ماله، أليس الأفضل لو استطاع أن يشترى بماله هذا أو بجزء منه ما يهيئ له الحياة السعيدة فى الآخرة . . ؟ لذلك فقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى الإنفاق فى آيات كثيرة وحبب إليه . . وإن كل صدقة يراد بها وجه الله وثوابه إنما تزيد من الحسنات وتذهب من السيئات . . وكم سيتمنى الإنسان يوماً لو اشترى بكل ماله ما يبدل سيئاته حسنات . . لذلك فإن الدعوة إلى الصدقة وإلى الإنفاق وإلى الزكاة إنما هى دعوة إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة وأى سعادة أكبر من أن يكون الإنسان فى رحمة الله يوم

الحساب وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . . هذا هو فضل الزكاة والصدقة والإنفاق فى الدنيا والآخرة .

فهلا أطعنا الله ...

وأمرنا الله بصوم شهر رمضان بنص الآية الشريفة ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ . . وأثبتت الأبحاث الطبية أن صوم شهر فى العام هو خير وسيلة لأن يتخلص الجسم من إفرازاته السامة وأن يذيب ما يكون قد تكون فيه من مواد ضارة كما أنه سبيل راحة أجهزة الهضم وخير علاج لأمراض كثيرة كما أنه وقاية من أمراض أخرى . كما أثبتت الأبحاث التربوية أن الصوم يخلق فى نفوس الأطفال الأمانة والإخلاص والصدق ومراقبة الضمير . . أما ناحيته الروحيـــة فإنها تتجلى عندما يتدبر الإنسان حال الصائم الذى يظل طول نهاره مبتعداً عن طعامه اختياراً إذا أحس بالجوع ذكر الله وإذا

صادفه حر وتاقت نفسه إلى الماء تذكر يوماً أشد حراً . ؟ فدعا الله السلامة فيه . . هــذا الصائم الذى ترك شهوة الأكل والشرب إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم كيف تكون حاله . . ؟ . . وإذا جاء ليل الصائم وأنفقه فى القيام والصلاة والدعاء والاستغفار . . ألا يتقرب بذلك إلى الله . . ترى كيف به وقد سبقه عمله هذا فى يوم الحساب . . ؟ . . إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَــكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعلَمُونَ ﴾ حقاً وصدقا .. فقد عمم الله سبحانه وتعالى الخير الذى يناله الصائم وأطلقه إطلاقاً شاملا .. ليكون خير الجسد وخير الروح .. فى الدنيا .. وخير العبد فى الآخرة .. هذا هو الصوم ..

فهلا أطعنا الله ..

وإذا كانت العبادات السابقة هى عبادات حسية فإن الحج وسيلة مادية للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .. فإنه جل شأنه يعلم أن الإنسان يميل بطبيعته إلى الحصر والتجسيد .. لذلك فقد أمر الله فكانت الكعبة الشريفة بيت الله الحرام وجعل الله من طاف بها فقد طاف ببيت الله ومن تعلق ببابها فقد تعلق بباب الله ومن ذهب إليها قاصداً وجه صاحبها فلا يرد خائباً

ولايعود إلاغالباً فقد غلب شيطانه وأصبح من أهل طاعة الله الذين لاخوف عليهم فى الدنيا ولاهم يحزنون فى الآخرة .: وهل تخيل الإنسان وقد وفد على دار كريم .. كيف يكون اللقاء .. فكيف بعبد يذهب إلى بيت الله ؟ .. وهؤلاء الذين أهاجت الأشواق قلوبهم .. فسعوا إلى بيت الله .. كيف يكون إكرام الله لهم .. أليسوا هم أهل ضيافته .. ؟ .. إن الشوق للحج يفعل فى النفوس ما لا يفعله غيره . فهذا مقعد شوهد وهو يزحف على الأرض ساعياً إلى بيت الله .: فسأله سائل من أين أقبلت فيقول من سمرقند فيندهش السائل ويستوضحه كم لك فى الطريق ؟ . فيذكر الحاج أعواماً تزيد على الخمسة فلما يلحظ تعجب السائل يسأله عما يدهشه فيقول السائل دهشت من ضعف مهجتك وبعد سفرك فيجيبه الحاج أما بعد سفرى فالشوق يقربه وأما ضعف مهجتى فمولاى يحمله .. أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف .. ومما يروى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام فإذا بشاب يمشى فى الطريق بلا زاد أو راحلة فسأله مالك : أيها الشاب من أين أتيت ؟ . قال : من عنده . قلت : وإلى أين ؟ .. قال : إليه .. فقلت وأين الزاد والراحلة ؟ . فقال عليه .. قلت

إن الطريق لاتقطع إلا بالمأكل والمشرب فهل معك شيء ؟ .
قال نعم قد تزودت عند خروجي من بلدى بخمسة أحرف .
قلت : وما هى ؟ قال قوله تعالى كهيعص قلت وما معناها؟.
قال : أما الكاف فهو الكافى وأما الهاء فهو الهادى وأماالياء
فهو المؤوى وأما العين فهو العالم وأما الصاد فهو الصادق
فمن كان مصاحباً كافياً وهادياً ومؤوياً وعالماً وصادقاًلايضيع
ولا يخشى ولا يحتاج إلى الزاد والراحلة . قال مالك فلما
سمعت كلام هذا الشاب نزعت قميصى على أن أُلبسه إياه فأبى
أن يقبله وقال أيها الشيخ : العرى خير من قميص الدنيا
حلالها حساب وحرامها عقاب . وكان إذا جن الليل يرفع
وجهه نحو السماء ويقول : يا من لاتنفعه الطاعات
ولا تضره المعاصى هب لى ما لاينفعك واغفر لى ما لايضرك
فلما أحرم الناس ولبوا قلت له : لم لا تلبى ؟ فقال : يا شيخ
وما تغنى التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات
والله إنى لأخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولاسعديك
لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك . فقلت له : لا تقل ذلك
فإنه حليم ، إذا غضب رضى وإذا رضى لم يغضب وإذا وعد
وفى ومتى توعد عفا . فقال : يا شيخ أتشير على بالتلبية .
قلت نعم . فبادر إلى الأرض واضجع وأسبل دموعه وقال :

لبيك اللهم لبيك ها أنا قد خضعت بين يديك . ثم أقام على هذا الحال زمناً ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول : اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وليس لى شىء أتقرب به إليك . فسامحنى واغفرلى ذنوبى وارحمنى برحمتك يا أرحم الراحمين .. ترى ماذا يكون جزاء مثل هذا الحاج يوم الله وقد استجاب لما أمر الله به بالنص الشريف ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فهلا أطعنا الله ..

وهكذا العبادات التى أمر الله بها سبحانه وتعالى إنما هى وسيلة لخير العبد فى دنياه وآخرته وأنها كذلك طريق الاتصال والقرب وأنها فى مجموعها تكون حلقات تتصل بعضها ببعض .. فمن عرف طريق أدائها على خير وجه ولزم التمسك بها .. ودأب على الترقى بها وصل إلى سمو إدراكى يشارف فيه الحياة بغير ما يعرف ، ويحس خلاف ما يعهد .. أما الجزاء فى الحياة الباقية فإنه نعم الجزاء . . ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِىَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

وأمر الله سبحانه وتعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما عملا وقولا وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ .

ولا توجد علاقة فى الحياة بين أى أفراد تفوق علاقة الأب والأم بولدهما فإن الله سبحانه وتعالى خلق فى الإنسان حبه لابنه وهذه غريزة وجدت فى قلوب البشر منذ آدم عليه السلام فقد شاءت إرادة الله فخلق آدم بلا أب أو أم ، وكذلك حواء فلم يشعرا بحب الأب أو الأم إنما كان لهما أولاد فخلقت فيهما محبة الأبناء وهكذا كان لهما أبناء ولم يكن لهما آباء .. ولهذا نجد الأم تحمل ولدها جنيناً فى بطنها شهوراً وهى به سعيدة ثم ترضعه لبنها أعواماً وهى بذلك قريرة ثم تظل قلقة عليه متعلقة به تخدمه وتشرف عليه دواماً وكلما كبر كلما زادت لهفتها عليه ومحبتها له . أما الأب فإنه يجد السعادة فى رعايته لأولاده والإنفاق عليهم من عزيز

ماله .. ومما يعرف أن الإنسان لايحب أن يتفوق عليه أحد إلا أولاده .. فيا ترى كيف يجب أن يكون حال الابن مع أمه وأبيه .. لاسيا وأنه كلما ترعرع ونما كلما هرم الأب وهزلت الأم ...فمن يا ترى يرعى هذين الشيخين العجوزين .. وقد أفنيا حياتهما وما لها وبذلا من صحتهما الكثير لأولادهما ؟.. إن العدالة تقضى بأن يرد الابن لأبيه وأمه بعض حقهما إذ أن حقهما كاملا لايستطيعه إنسان .. ولذلك فإن الله سبحانه أمرنا ببرهما وليس أدل على مكانة الأبوة عند الله سبحانه مما تنص عليه الآية الشريفة ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسنًا وإن جَاهَدَاكَ لِتُشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعهُمَا ﴾ . فقد أوصانا الله بالإحسان والطاعة العمياء لهما إلا إذا جاهدانا لنشرك بالله فهنا فقط لا نطيعهما . . بينما يأمرنا الله جل شأنه بقتال المشركين بنص الآية الشريفة ﴿ وَقَاتِلُوا المُشرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُم كافةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ . فكيف بمن يجاهدوننا على أن نشرك ؟ . . إن الإنسان لو تدبر حاله مع أمه وأبيه لوجد أمراً عجبا . . فليس بعد الله سواهما للإنسان وفرا له الحياة . . وأنفقا عليه الأموال . . وبذلا من أجله

التضحيات . . كم شغلهما وهو رضيع . . وكم أزعجهما وهو مريض . . وكم أسعدهما وهو سعيد . . إنه عذابهما وأنه نعيمهما . . بل إنه حياتهما . . ثم بعد ذلك يمرضا ويكبرا . . فهل نتركهما للقضاء والقدر ؟ . . أم نبذل لهما بعض ما بذلاه منذ الصغر ؟ .. إن هذا لهو العدل .. قبل أن تكون الرحمة . . وإنه لأمر الله لنا . . فى مثل الآيات ﴿ واعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبالوَالِدَينِ إحسَانًا ﴾ ، ﴿ قُل تعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ ربكم عَليكُم أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالوَالِدَينِ إحْسَانًا ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

والله جل شأنه يأمرنا بالعدل ، ولا يعرف قيمة العدل إلا من ظلم ، وكان العدل هو وسيلة إنقاذ حياته أورد ماله أو ستر عرضه وكيف لانعدل مع أنفسنا ومع غيرنا وقد أمرنا الله بالعدل حتى مع أعدائنا بنص الآية الشريفة ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالقِسطِ وَلاَ يَجرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَومٍ عَلَى أَلاَّ تَعدِلُوا اعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتقوَى واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بما تعمَلُونَ ﴾ .

لقد حرم الله الظلم تحريماً قاطعاً والآيات التى توعدت الظالمين يوم القيامة لتظهر لنا مدى عذابهم يوم القيامة من سوء ما عملوا فى دنياهم بما ظلموا مثل الآيات الشريفة ﴿ وَلَو أنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافتَدَوا بِهِ مِن سُوءِ العَذَابِ يَوم القِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ . وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِؤُنَ ﴾ . والله أمرنا بالإحسان ولا يختلف اثنان فى أن خير ما يمنحه الإنسان لأخيه هو الإحسان . . والإحسان هو وسيلة تآلف القلوب وتسامح النفوس ونشر المحبة .. والسلام .. ويأمرنا سبحانه وتعالى بإيتاء ذى القربى .. فإذا كان لابد لمحتاج من عطاء فما أفضل العطاء لو كان من قريب إذ لايشعر فيه المحتاج بذل أو حرج بل يحس أنه حق القريب ناله من قريبه .. وأمرنا الله جل شأنه بأن نجتنب الفحشاء والمنكر والبغى وهل يرضى الإنسان أن يفحش عليه غيره أو يصيبه أى منكر من أى لون كان أو يبغى عليه باغ فى أى عرض من عروض الدنيا ؟ .. فكيف نفحش على غيرنا ونبغى عليهم .. ثم أليس العدل يقضى بأن نرد لهم جزاء ما بغينا عليهم حتى ولوكان

بكلمة عابرة قصدناها . . أليس ما يأمر به الله سبحانه وتعالى هو ما فيه خير الإنسان فى دنياه وآخرته .. ويقول المولى عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغى يَعِظُكُم لعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

والله يأمرنا أن نؤدى الأمانات إلى أهلها بنص الآية الشريفة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . وألا نخونها بالنص الشريف ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وَأَنتُم تَعلَمُونَ ﴾ . وإطلاق الأمانة إنما قصد به تعميم الأمانات التى قد تكون بين الإنسان وغيره فى أى صورة من صورها ولايشترط أن تكون فقط فى المال إنما هى كل حق للإنسان قبل غيره . والإنسان إن لم يؤد الأمانة لصاحبها ويعطى كل ذى حق حقه فى الدنيا لوجب رد ذلك فى الآخرة ولا سبيل إليه مطلقاً إذ كيف يرد الإنسان مال أخيه وقد اغتصبه منه كرهاً وأخذه منه باطلا فى يوم لا مال فيه ولا بنون

بل كيف يرده ومعه ما كان يجب أن يكون قد وصل إليه بالاستثمار والعمل . . إذ لاظلم يوم الله . . إنما هى حقوق العباد يؤديها كل لصاحبها وويل ويل لمن كان عليه . . ولم يكن له . . لذلك حرص القرآن الكريم على تكرار التنبيه بعدم أكل أموال الغير بالباطل فى مثـل الآيات الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ ﴾ . وكذلك عدم الاستغلال لأخذ حقوق الغير باستعمال الرشوة والسحت وكل طريق ينال به الإنسان أكثر من حقه وذلك بالنص الشريف ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ وَتُدلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِن أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثمِ وَأَنتُم تَعلَمُونَ ﴾ . فكل ذلك سنحاسب عليه يوم القيامة ، وما أخذناه بغير حق سهلا هيناً تركناه فى الدنيا متاعاً فانياً ووجب علينا رده فى الآخرة عذاباً قاسياً .. مهما كان قدره صغيراً وثمنه ضئيلا . وحجمه قليلا حتى ولو كان مثقال حبة من خردل فإن الله سيحاسب الناس عليها ويردها لصاحبها وسبحان الله جلت قدرته الذى يقول ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظلَمُ نَفسٌ شَيئاً وإِن كَانَ مِثقَالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ

أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ . وصدق القرآن الكريم فى آياته الشريفة والتى منها الآية الكريمة ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى بالعمل فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل الآية الشريفة ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . وإطلاق العمل إنما قصد به أن يعمل الإنسان كل ما يحقق الغرض الذى من أجله خلق . فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعله خليفة فى الأرض وخلق الأرض وجعلها مهداً للبذر ومكاناً للزرع والثمر فكل من سعى لزراعتها بأى طريق يستطيعه .. فكل من عمل على زيادة خصوبتها أو المحافظة عليها بأى شكل يمكنه مهما كان صغيراً فإنما يستجيب لأمر الله .. وهكذا فى كل ميادين الحياة التى تقوم عليها حياة الإنسان ، وخلق الله العباد وجعل مصالحهم مرتبطة بعضها ببعض وشاعت

إرادة الله سبحانه أن تتنوع جهودهم وتختلف إمكانياتهم حتى تتحقق بذلك أهداف الحياة . . فهذا لا يستطيع الحرث أو الزرع .. إنما يمكنه توصيل الحب والثمر من حقل الإنتاج إلى مكان الاستهلاك . . فعليه أن يعمل فى هذا السبيل . . وهذه هى التجارة، وعليه أن يقوم بهذا العمل وهو يعتقد تماماً بأن الله يرى عمله . ويثق بأن الله هو السميع البصير .. فإن استغل حاجة المستهلك أو احتكر ما يبيع فكأنه يعصى الله .. والحياة لاتقوم إلا بتعاون أفرادها فى مختلف ميادين العمل .. فلو تدبرنا أمرها لوجدناها عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات بحيث أن أى وهن أوضعف فى حلقة ما إنما يؤثر على المجموع فكأن الإنسان السلبى فى الحياة الذى ينزوى ولا يعمل إنما يعطل بطريق غير مباشر سلسلة الحياة بأكملها ويؤثر فى المجموع البشرى تأثيراً بالغاً .. وكذلك الإنسان الذى لايخلص فى عمله ولايؤديه بالأمانة المطلوبة والإتقان الواجب .. لذلك فقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى العمل فى مختلف الميادين على أن يكون العمل صالحاً .. بكل ماتشتمل عليه هذه الكلمة من معانٍ يدخل فيها نوع العمل وكمية ودرجة إتقانه والهدف الذى يهدف إليه والقيمة التى يحققها .. وليس العمل الذى دعانا الله إليه يقتصر على العمل اليدوى بل إنه

سبحانه دعا كذلك إلى العلم وهو عمل ذهنى عن طريق التفكر والدراسة والبحث والنظر وميز العلماء بأن رفعهم درجات فوق غيرهم حتى يتنافس العباد فى العلم . ولايقتصر العمل على ذلك فقط بل إنه سبحانه جل شأنه دعا إلى العمل الصالح وهو كل ما يعود على المجتمع كمجموع أو أفراد بالخير والسعادة ومن ذلك التعاون فى الخير والمساعدة عند الحاجة والمشاركة فى الشدة وليس أفضل من السعى لقضاء حاجة الإنسان وتيسير عمله والعمل على تفريج كربته بلاأجر أو بمقابل وبلا فخر أو تخايل .. إنما حباً فى الخير وابتغاء مرضاة الله وإدخار الجزاء ليوم يعز فيه الأجر وتشخص فيه الأبصار وهذا هو الخير كل الخير وهذه هى الخيرات التى طالبنا الله فى آيات كثيرة مثل ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جميعًا إن الله عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . وكل خير يقدمه الإنسان إنما يدخره عند الله وسيجده عنده سبحانه

جل شأنه بنص الآية الشريفة ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إنَّ اللهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . وسيكون الخير وسيلة النجاة من عذاب يوم القيامة وصلى الله عليه سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين الذى يقول « إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس ، حببهم فى الخير ، وحبب الخير إليهم ، إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة » .. وإذا كان الإنسان سيجد ما عمله من خير يوم القيامة فإن من عمل السوء سيجده كذلك وكم يتمنى لو استطاع أن يباعد بين نفسه وبين السوء من أعماله .. وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَتْ مِن خَيرٍ مُحضَراً وَمَا عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَو أنَّ بَينَهَا وَبَينَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفسَهُ واللهُ رَءوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتحفظ فى القول والابتعاد عن اللغو بل جعل الإعراض عن اللغو من سمات المؤمنين ومن صفات أهل الجنة الذين هم فيها خالدون بنص الآيات الشريفة ﴿ قَد أَفلَحَ المُؤمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ .
وفيهم يقول جل شأنه ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ . الَّذِينَ
يَرِثُونَ الفِردَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . وضرب الله سبحانه
وتعالى المثل لعباده يبين لهم الفارق الكبير بين الكلمة الطيبة
والأخرى الخبيثة فى الآيات الشريفة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ
ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذنِ
رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ .
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّت مِن فَوقِ
الأَرضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ . وحبب الله إلينا الطيب من
القول والكلام السديد بنص الآيات الكريمة ﴿ إِلَيهِ يَصعَدُ
الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ﴾ ، بل ليس أدل على
فضل القول السديد من الآية الشريفة ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ
لَو تَرَكُوا مِن خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيهِم فَلْيَتَّقُوا
اللهَ وَلْيَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ﴾ . وسنحاسب على كل قول

مهما كان فالله سبحانه عليم بما نقول سميع لما نلفظ به :
وإن آفات اللسان لعديدة وإن ذنوبه لكبيرة . فمنها الهمز
واللمز وويل للإنسان بها بالنص الشريف ﴿ وَيلٌ لِكُلِّ
هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ . ومنها النميمة بالنص الكريم ﴿ وَلاَ تُطع
كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ . ومنها الكذب
ولن يهدى الله جل شأنه كل كاذب بالنص الشريف
﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَهدِي مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ،
﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَهدِي مَن هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ .
والخوض فيما لاينفع مع الناس ، وقد كتب الله سقر وبئس
المستقر للخائضين بنص الآيات الشريفة ﴿ مَا سَلَكَكُم
فِي سَقَرَ . قَالُوا لم نَكُ مِن المُصَلِّينَ . وَلَم نَكُ نُطعِمُ
المِسكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ ﴾ . وهكذا فإن
الكلمة ينطق بها الإنسان فإما أن تكون سبب نعيمه أو سبيل
جحيمه . . لذلك فقد حرص سلفنا الصالح على الكلمة
لا يقولها القائل إلا بعد تدبر . . ولا ينطق بها إلا بعد تعقل . .
لقد عرفوا أن الصوم عن الكلام كان من ضمن العبادات
التي يتقرب بها إلى الله بنص الآيات الكريمة ﴿ فإمَّا تَرِينَّ

مِنَ البَشَرِ أحداً فَقُولى إنِّى نَذَرتُ لِلرَّحمَنِ صَوماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَومَ إنسِيًّا ﴾ ، ﴿ قَالَ رَبِّ اجعَل لِى آيَةً قَالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ .
وإن الغيبة كأكل لحم الميت بنص الآية الشريفة ﴿ وَلاَ تَجَسَّسُوا ولاَ يَغتَب بعضُكُمْ بَعضاً أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أَنْ يَأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه ﴾ .

ولعل فيما يرويه عبد الله بن المبارك عن واقعة شاهدها بنفسه ما يلقى ببعض الضوء على ما كانت عليه حالة السلف الصالح وان كانت هذه الواقعة لسيدة بعد عصر صحابة سيدنا رسول الله فلنتأمل ونتخيل كيف كانت حالة الصحابة والتابعين ...

يقول ابن المبارك « خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق إذ رأيت سواداً تميزته فإذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت « سلام قولا من رب رحيم » فقلت لها رحمك الله ماذا تصنعين فى هذا المكان ؟ .. فقالت « من يضلل الله فلاهادى

له » فقلت فى نفسى أنها ضلت الطريق وسألتها إلى أين تريدين ؟ فقالت « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فقلت إنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها منذ متى وأنت فى هذا المكان ؟ .. فقالت « ثلاث ليال سويا » فقلت ما أرى معك طعاماً فقالت »هو يطعمنى ويسقين » فقلت بأى شىء تتوضئين ؟ قالت « فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا » فقلت لها إن معى طعاماً فهل لك فى الأكل قالت « ثم أتموا الصيام إلى الليل » فقلت لها قد أبيح الإفطار فى السفر قالت « وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » فقلت لم لاتكلمينى مثل ما أكلمك فقالت « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » فقلت فمن أى الناس أنت قالت « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت « لاتثريب عليكم اليوم يغفر لكم » فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » قال فأنخت ناقتى قالت « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فأغمضت عينى عنها فقلت لها اركبى فنفرت الناقة وتمزقت ثيابها فقالت « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فقلت

لها اصبرى وركبت الناقة وهى تقول « سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » فجعلت أمشى رويداً رويدا وأترنم بشعر خفيف ولكنها قالت « فاقرؤوا ما تيسر من القرآن » فقلت لها قد أوتيت خيراً كثيراً فأجابت « وما يذكر إلا أولو الألباب » فلما مشيت بها قليلا وأردت حديثها فسألتها ألك زوج ؟ فقالت « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه هى القافلة فما لك فيها ؟ .. قالت « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم فى القافلة قالت « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فعرفت أنهم أدلاء الركب فقلت من لك فيهم ؟ قالت « واتخذ الله إبراهيم خليلا . وكلم الله موسى تكليما . يا يحيي خذ الكتاب بقوة » . فناديت على هذه الأسماء فإذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس مع أمهم قالت « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه » فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدى وقالت لى « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم

فى الأيام الخالية) فقلت الآن طعامكم حرام علىّ حتى تخبرونى بأمرها . فقالوا هذه أمنا تحج كل عام لها أربعين سنة ولم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن وسبحان القادر على ما يشاء فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ... سبحان الله وبحمده الذى يريد الخير لعباده فى أمره الكريم بالنص الشريف

﴿ وَقُل لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُم إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُبِيناً ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

وحرم الله علينا كل ما يصيب أجسادنا أو أرواحنا كأفراد أو ما يصيب جماعتنا كأمة . فحرم علينا أكل الميتة وقد عرف أخيراً أن الميتة تحوى من الميكروبات التعفنية والجراثيم الضارة ما يجعلها وسيلة أكيدة لإصابة من يتناولها وحرم علينا الدم وقد اكتشف العلم الطبي الحديث إن الدم علاوة على أن به جراثيم أى مرض يكون فى جسم صاحبه فإنه يحوى المواد السامة التى يستخلصها الدم من الجسم فإذا تعذر تشخيص مرض فإن الطب يلجأ إلى الدم فيرى فيه جراثيم المرض بآلاف الملايين وكذلك يحتوى الدم على إفرازات الجسم

الضارة . أما لحم الخنزير الذى حرم الله سبحانه على عباده أن يتناولوه فإنه يحمل جراثيم لأمراض خبيثة عرفت أخيراً تصيب الإنسان عن طريق أكلها . وإن هذه الجراثيم داخل عضلات الخنزير وبحالة لا تتأثر بالطبخ فتظل حية لتصيب الإنسان إذا ما تناولها . وكذلك الحيوانات الجريحة والمنخنقة شأنها شأن الحيوانات الميتة أو المصابة بالأمراض وما ذبح على النصب فإنه يصيب الإنسان بأذى فى نفسه وروحه فإن النفس والروح إنما تؤمن بالله الواحد الأحد وتنفى الشرك . . . وهذا ما يأمرنا الله سبحانه به فى نص الآية الشريفة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ .. أليس فيما يأمرنا به الله سبحانه الخير كل الخير للعباد فى الدنيا علاوة على ما يناله الإنسان من ثواب فى الآخرة بطاعة الله . .

فهلا أطعنا الله . . .

ولحفظ حياتنا وحياة الآخرين حرم الله سبحانه وتعالى علينا قتل النفس فأمرنا بألا نقتل نفساً فى أيات كثيرة مثل

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالحَقِّ ﴾ .
وحتى يشعر من هم بالقتل بفظاعة ما سيرتكب وشناعته وبشاعته قال الله جل شأنه ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأرضِ فَكأَنَّمَا قتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ . . فإن قتل الإنسان لغيره وهو شر فظيع وسيلقى الإنسان جزاء هذا الشر شراً مثله بنص الآية الشريفة ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ ﴾ . والانتحار هو قتل للنفس كذلك وهو محاولة للهروب من الحياة واعتراض على ماكتبه الله للإنسان مما يعترضه فى الحياة من صعوبات يحاول دفعها بالانتحار وكم من ذنوب ارتكبها الإنسان وكم من معاص قام بها فهل إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يكفر عنا ويغفر من هذه الذنوب بما قد يصيبنا فى الدنيا . نحاول الهرب فنضيف على الذنوب أبشعها وعلى المعاصى من أكبرها . . ؟ . . وهل يصيب الإنسان فى حياته إلا بعض ما يستحق عما قدمت أيديه إذ يقول الله جل شأنه :
﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيدِيكُم وَيَعْفُوا عَنْ كَثِير ﴾ . . فكيف لا نصبر على ما يصيبنا مهما كان

ذلك والله سبحانه وتعالى بشرنا بخير الجزاء إذا صبرنا على ما يصيبنا بنص الآيات ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الخوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأموَال والأَنفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمْ المُهتَدُونَ ﴾ . لذلك أمرنا الله بألا نقتل أنفسنا مهما كان السبب ومهما بلغ الأمر إذ سيتحقق للإنسان إذا صبر ولم يقتل نفسه ما يؤكد له أن الله سبحانه وتعالى كان به رحيما وذلك بنص الآية الشريفة : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيمًا ﴾ . أما من لم يستجب فقتل غيره أو انتحر بقتل نفسه فويل له وويل له وما أشد ما ينتظره من سوء إذ يقول الله جل شأنه ﴿ وَمَنْ يَقْتُل مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ .

فهلا أطعنا الله . . .

وحرم الله الربا وهو استغلال الغنى القادر لحاجة الفقير الضعيف فيعطيه قدراً من ماله ويسترده بعد مدة محددة

وقد أضاف إليه ما لا يستحقه إطلاقاً وأن تأخر تضاعفت الزيادة وقد يكون هذا المال أراده الفقير لينفقه على علاج مرض أصابه أو أصاب عزيز عليه أكثر من نفسه وقد يكون لسد لهفة عاجلة . أو تغذية رضيع يتيم أو ستر أم غير قادرة . . أو دفع أذى . . أو بداية عمل يعيش عليه هو وعائلته . . فيأخذ الزيادة دون نظر هل ربح المال . . أو خسر العمل . . إنه الاستغلال بل إنه أسوأ صور الاستغلال والانتهاز . . ولا يعرف المرابى أن المال مال الله قد أودعه لديه . . كوديعة ولا بد أنه سيستردها ويمنحها لغيره . . مهما طال الأجل . . وإن هذا المال لا بد أن صاحبه سيتركه فى الدنيا أن ظل فى حوزته إلى مماته . . وإن كل ما سيأخذه معه من ماله هو جزاء ما فعله به . . أفلا نستخدم المال إذا . . فى التقرب إلى الله . . وإنفاقه فى الأوجه التى أمرنا الله سبحانه أن ننفقه فيها . . وأليس لذلك نهانا الله جل شأنه عن الربا بنص الآيات الشريفة

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البيعُ مِثلُ الرِّبَا وأَحَلَّ اللهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

ونهانا الله سبحانه وتعالى عن الزنا وحرمه تحريماً قاطعاً بالنص الشريف ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ . ولو أن كل من هم به تذكر وتفكر وتدبر بشاعة هذا الجرم وما ينتج عنه لأسف وندم واستغفر وتاب وأناب فبالزنا تختلط الأرحام وتتشابك الأنساب وقد تكون نتيجة ذلك أن تتزوج الأخت أخيها ولا تعلم الأم ولا يدرى الأب وقد يرث الإبن غير حقه ممن يعتقد أنه أبيه ، ولو فكر من يهم بالزنا أن من يزنى بها إما أنها أخت لشاب فى سنه أو زوجة لرجل مثله أو أنها إبنة لأب كإبنته لما اقترف هذا الأمر الجلل . ولو تدبر أنه بارتكابه للزنا فكأنه يقره ، فكيف به لو عرف أن هناك من يريد أن يزنى بأهله ، هل يرتكب هذا الإثم الزلل . . بالرغم من ذلك ؟ . . والزانى نجده يحرص على التسلل والاختفاء . . ترى لو عرف الحقيقة وهى أن الله يراه . . هل يفكر فى إتيناه أو العودة إليه ؟ . . وتظهر بشاعة جريمة

الزنا فى العقوبة التى قررها الله سبحانه وتعالى للزانى والزانية فى الدنيا بالنص الشريف ﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِي فاجلِدُوا كلَّ واحِدٍ مِنهُمَا مَائَةَ جَلدةٍ وَلاَ تَأخُذكم بِهِمَا رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ وَليَشهَدَ عَذابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ المُؤمِنِينَ . الزَّانِي لاَ ينكِحُ إلا زانيةً أو مُشرِكةً والزَّانيةُ لاَ ينكِحُها إلا زَانٍ أو مُشرِكٍ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤمِنِينَ ﴾ . أما عقوبتهما فى الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى يقول عنها ﴿ وَمَنْ يَفعَلُ ذَلِكَ يَلْقَ أثَاماً . يُضَاعَف لَهُ العَذَابُ يومَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نطيع أولى الأمر منا لما تحققه هذه الطاعة من خير عام تهدف إليه الحياة بقيامها . فالإسلام يدعو إلى الأخذ بأسباب العزة والرفعة ليكون المسلمون جديرين بإنتسابهم إلى خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليكونوا دعاة للإسلام بدينهم ودنياهم قدوة للعالمين بأرواحهم وأجسادهم .. بعباداتهم

وأعمالهم إذ أن الإسلام يحرص على دنيا المسلمين قدر حرصه على دينهم لذلك نجد أن آيات القرآن الكريم تحض على طاعة أولى الأمر إذ لو عصيناه ما تقدمت البلاد وكان أمرها شراً . وأولى الأمر الذى يجب طاعته لا بد أن يكون منا وذلك بنص الأمر الشريف ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . ولذلك لاطاعة لولى الأمر الأجنبى عنا أو الدخيل علينا فإنه لايريد الخير للإسلام .. أو الرقى للمسلمين ويكون كل من يطع المستعمر أو الدخيل فكأنه عصى الله وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يطع الكافرين لخطورتهم على الدعوة وعلى المسلمين بالنص الشريف ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ..

وأمرنا الله سبحانه وتعالى ألا نغتر بهذه الحياة الدنيا فكل ما فيها إن هو إلا متاع الغرور .. وليس فيها إلا الهالك وكل

ما حوته إلا وهو زائل ولا سبيل إلى بقاء أو دوام فكيف إذا عرف الإنسان وتأكد أنه إلى زوال كيف يغتر ويختال ؟ .. إن الإنسان إذا ما حدثته نفسه الأمّارة بالسوء أن يختال ويتخايل ويتفاخر ويتكبر فليفكر فى حاله وقد غادرته روحه فأصبح جسداً لاحراك فيه .. يفر منه حتى أعز الناس إليه .. جسداً قد دب فيه البلى .. إكرامه سرعة دفنه .. فإذا ما انتهى إلى التراب أصبح مرتعاً للحشرات والهوام وعملت فيه الجراثيم والطفيليات ، ولو رأى الإنسان ما يجرى على غيره فى موته .. وتأكد أنه لابد مصيبه مثله .. لآمن وتاب .. واستمع إلى الله سبحانه وتعالى إليه واستجاب إلى قوله جل شأنه فى الآيات الشريفة ﴿ لِكَيلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا أَتَاكُم وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُختَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، ﴿ وَلاَ تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمشِى فِى الأَرضِ مَرَحًا إن اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ﴾ .. فهل يختال ويغتر من يعرف أن الكل إلى تراب ؟ .. بل هل فكر الإنسان فى حاله إذا ما ارتفعت حرارته درجة واحدة أو أصاب الألم منه سناً واحدة ؟ . . وإذا اشتد به العطش ولم يجد ماء يتجرعه بل إذا شرب ما لم يستطع أن يتبوله ؟ ..

كيف تكون حاله .. كيف يغتر ويختال .. من كانت هذه هى حالته .. ؟ ..

هل يغتر ويختال ويسخر من غيره من يعرف أن الجميع إلى انحلال وإلى تراب دون تمييز أو تفرقة وأن من دفنوا فى قبور مرتفعة شأنهم شأن من دفن فى حفرة منعزلة . أما الروح التى لاتدفن وإنما تعيش فى حياتها الآخرة فهنا يكون التفاوت .. فعسى من كان فى هذه الدنيا فقيراً ضعيفاً يكون فى آخرته مقبولا سعيداً .. ففى الآخرة أعمال .. وحساب .. لا أنساب أو ألقاب .. وذلك بنص الأمر الشريف الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خيراً مِنهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خيراً مِنهُنَّ وَلاَ تَلمِزُوا أَنفُسَكُم وَلاَ تَنابَزُوا بالألْقابِ بِئْسَ الاسمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأُولئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

إن الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إن هى إلا لحظات قصار يقضيها الإنسان وكأنه فى حلم سريع تعقبه يقظة طويلة فى هذه اللحظات قد ينال الإنسان ما يشتهى من الخير وقد يصيبه

ما لايريده من الشر . وهذا الخير لن يدوم .. كما أن هذا الشر لن يطول .. فهما متعاقبان .. تعاقب الليل والنهار أو الصيف والشتاء .. وما يعتقده الإنسان أنه خير قد يكون هو الشر بواقعه .. وما يحسبه الإنسان أنه شر قد يكون هو الخير فى حقيقته .. ولا يعلم السر إلا الله سبحانه وتعالى الذى يقول جل شأنه ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فكيف نجزع من شر ولا نعرف مداه ؟ . وإنما نعرف منتهاه . . وكيف نفرح بخير نعلم أنه لن يدوم .. وأنه قد يكون شراً غير معلوم . . ؟ . . أفليس الواجب على الإنسان إن أصابه ما اعتقده خيراً شكر الله وحمده فتزيد نعمة الله عليـــه بنص الآية الشريفة ﴿ وَإِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وإن أصابه الشر صبر وحمد وشكر .. فيكون له أحسن الجزاء وخير العطاء . . فقد ميز الله الصابرين واختصهم بفضل عظيم وأجر كبير لاينالە غيرهم . . هنيئاً لهم بما وعدوا . . إذ وعدهم الله سبحانه وتعالى بنص الآيات الشريفة بخير ما يتمنى الإنسان وفوق ما يطمع الكائن إذ يقول جل شأنه ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ

الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا ﴾ . ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصبر ودعا إليــه فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّـكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . ﴿ فاصبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ . ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

وأن المتدبر لنفسه ليجد أن الله سبحانه جل شأنه قد وهبه ما لاسبيل إلى حصره من النعم ، فكل عضو فيه وكل خلية فى جسمه وكل نفس يتردد بين جنباته إنما يدل دلالة واضحة على فضل من الله عظيم ويشير إلى نعم كثيرة أنعمها الله على عباده . واستعمال أى عضو واستخدام أى جارحة فيما لم تخلق من أجلها إنما هو ذنب ومعصية .. وما أكثر الذنوب وما

أخطر المعصية فهل من سبيل إلى توبة وعلاج .. إن النظرة التى تنظرها العين إلى غير ما خلقها الله له ذنب وأى ذنب.. فالعين خلقت لترى آيات الله جل شأنه وتتعظ بما خلقه الله فى السماوات والأرض وترى الطريق الذى يؤدى إلى ما فيه خير الدنيا والنجاة فى الآخرة .. ولكن كم تتجسس العين على ما لايجب وكم تتلصص على ما لايجوز وكم تنظر إلى معصية .. وكم ترى من المنكرات .. بل كم تأتى العين من الفواحش .. فيا ترى كيف السبيل إلى التحرر من ذلك والتحلل من ذنبه .. أنه الاستغفار. فكلما نظر الإنسان نظرة لاتحقق الهدف الذى خلق الله من أجله العين وجب الاستغفار فوراً وعلى التو ..

وكم نستمع إلى لغو الحديث .. ولو لانشارك فيه .. وكم ننصت إلى ما لايفيد .. بل كم نحضر مجالس يذكر فيها الغائب بما لايصح .. ترى .. هل خلق الله لنا السمع لذلك ؟ .. ألسنا فى حاجة دائمة إذاً إلى الاستغفار من مثل هذا الاستماع إذ استخدمنا الأذن فى غير ما خلقها الله له .. وهذا اللسان الذى خلقه الله للإنسان ليسبح بحمده ويذكره ويشكره وإن نطق بغير ذكر الله وشكره فيكون لخير الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن المنكر .. فهل يا ترى

نحن على ذلك ؟ .. ويا ترى كم مرة يستعمل الإنسان لسانه فيما خلقه الله من أجله وكم مرة يتكلم بما لاينفع الناس بل ويضر صاحبه ؟ .. أليست كل كلمة نرددها فى غير الخير فى حاجة إلى استغفار .. واستغفار دائم .. ؟ .. وهذه الهواجس التى تملأ عقولنا .. والوساوس التى تعيش فى قلوبنا ..والقلق الذى يملأ داخلنا . والذى إن دل فإنما لا يدل على اطمئنان كامل أو إيمان تام .. أليست هذه ذنوب أصبحنا بها فى أشد الحاجة إلى الاستغفار منها .. وكذلك ما قدمت أيدينا وما سعيت إليه أقدامنا بل كل حركة نقوم بها فى حاجة إلى استغفار منا .. بل إن رابعة العدوية رحمها الله تقول إن استغفارنا فى حاجة إلى استغفار .. والاستغفار أوصانا الله به وأمرنا بالمداومة عليه لما فيه من خير العبد فى دنياه وآخرته .. فالاستغفار هو سبيل القوة والرزق وخير الدنيا بنص الآيات الشريفة ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ ، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

أَنْهَارًا ﴾ . وجعل الله الاستغفار سبيل النجاة من عذاب الله في الدنيا وليس أدل على قدر الاستغفار من أنه يعادل في إكرامه لقومه وجود سيدنا رسول الله فيهم وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِم وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُم يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . أما جزاء الاستغفار في الآخرة فهو جزاء المتقين إذ يقول الله جل شأنه ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُم إِنَّهُم كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالأَسْحَارِ هُم يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . ألا نستغفر الله في كل لحظة وآن .؟ .. وألا ندوام على الاستغفار في كل زمان ومكان ؟ .. أن الله سبحانه وتعالى يدعونا إلى ما فيه الخير في الدنيا والنجاة في الآخرة بالاستغفار ..

فهلا أطعنا الله ...

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتقوى لما فيها من صالح العبد في دنياه ونجاته في آخرته ، فبالتقوى يرسل الله سبحانه وتعالى الخير لعباده المتقين من السماء ومن الأرض وذلك

بنص الآية الشريفة ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . .
وبها كذلك ينجى الله عباده من كل مأزق أو ضيق وذلك بنص الآيات الشريفة ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ . بل ويجعل أمره كله ميسراً بالنص الشريف ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . . . ومن فضل التقوى أنها كذلك طريق السلوك إلى علم يفيض الله به على عباده فيعلمهم جل شأنه بتقواهم ما لم يعلمه غيرهم وذلك بنص الآية الكريمة ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
أما جزاء التقوى فى الآخرة فإنها سبيل رضوان الله جل شأنه وطريق الجنة والنعيم بنص الآيات الشريفة ﴿ قُل أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُم لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .
﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قَالُوا خَيْرًا

لِلّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ . كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ . يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ . لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُم عَذَابَ الْجَحِيمِ . فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . والآيات كثيرة التى تصور نعيم المتقين يوم القيامة وهل هناك نعيم أكثر من أن يكون الله معهم بنص الآية الشريفة ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . اللهم اجعلنا منهم .. هذه هى تقوى الله .. وقد تردد الأمر بها والدعوة إليها فى آيات كثيرة إذ تكررت ما يقرب من مائتين وثمان وخمسين مرة .. أليس هذا من فضل الله علينا .. أن يأمرنا بالتقوى ويدعونا إليها وهى سبيل الخير لنا فى الدنيا والرحمة بنا فى الآخرة .. وليست التقوى بالأمر العسير الذى قد لا يستطيعه الإنسان أو يشق عليه بل أنها لمن أيسر

ما يمكن إذا ما تدبر الإنسان الطريق الذى يوصله إليها . . فمن جاهد الشيطان وغالب نفسه بذكر الله فقد اتقى وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾ وجعل الله سبحانه وتعالى من سبل التقوى العفو بالنص الكريم ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وكذلك العدل بالنص الشريف ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وأداء شعائر الله بالتعظيم الواجب بنص الآية الكريمة ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ . ولقد أورد الله سبحانه وتعالى الأعمال التى بها يصبح الإنسان من المتقين فى الآية الشريفة ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

إذا كان هذا الوجود إن هو إلا صورة من صور أمر الله وقدرته .. وكل ما فيه إن هو إلا بعض مظاهر إرادته .. وقيام الحياة بمختلف أطوارها إن هو إلا رهن مشيئته .. أفلا تجب علينا طاعته ؟ .. وإذا كانت بالطاعة قامت السماوات وبالطاعة تدور الأرض .. فلا سبيل إلى إدراك كيف تقوم هذه السماوات البعيدة .. ولا كيف تدور الأرض هذه الأجيال العديدة .. ولكنها الطاعة ..

وإذا كان بالطاعة يخرج النبت والزرع بلون معين وثمر منضود .. من بين الطين والماء .. عجباً وأى عجب .. فكيف لا تخطئ الثمار ولو مرة .. أليس لأنها تطيع الله ولا تعصى أمره ..

وإذا كان بالطاعة يخرج اللبن الأبيض الخالص من بين الدم الأحمر والفرث الحامض . إذ ما اختلط الدم والفرث باللبن .

وإذا كان بالطاعة يجرى الدم فى عروق الإنسان فى اتجاه واحد .. مهما غير أوضاعه فلا يرجع أو يعود .. إنما يسير

دائماً فى طريق مرسوم .. وإلى وقت معلوم ..

وإذا كان كل ما حولنا بل وكل ما فينا نحن أنفسنا .. إنما يطيع الله .. طاعة عمياء ..

فهلا أطعنا الله ...

وإن طاعة الله التى بها تقوم الحياة بل وعليها يستمد الوجود والتى رأينا الكون ولا شىء يحكمه إلا طاعة الله . قد كتب الله لعباده بها أجراً كبيراً ونعيما مقيما بنص الآيات الشريفة ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ . ﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فوزاً عَظِيماً ﴾ .

والله سبحانه وتعالى إنما أمرنا بطاعته جل شأنه لما فى ذلك من خير للعباد فى الدنيا والآخرة إذ أن من لم يجب داعى الله لن يؤثر إطلاقاً على الحياة أو الأرض بالنص الكريم ﴿ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمعْجزٍ فِى الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء أُولَئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ . إنما سيرى فى الآخرة عاقبة عدم طاعته وعندها سيندم

أشد الندم ويتمنى لو كان أطاع الله ... ولكن هل ينفع التمنى . . وفى ذلك يقـول الله جل شأنه ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ . ترى كم وكيف يكون الفارق بين هؤلاء الذين لم يطيعوا الله ورسوله والذين أطاعوا ويقول عنهم سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

فهلا أطعنا الله ...

لا يمكن للإنسان أن يحيط ببعض ما تحققه طاعة الله كما لا يستطيع أيضاً أن يعلم عاقبة معصية الله .. فإن القوانين التى تحكم هذا الوجود إنما هى صورة من صور الطاعة فما من شيء يخطر على البال أو يغيب عنه إلا وهو فى طاعة تامة لله ، فإذا أراد سبحانه شيئاً فإنه يتم بلا زمن .. أمر يقدر وقدرة تكون .. فالوجود بأجمعه فى طاعته .. فإذا قال الحق سبحانه لشيء كن .. فنجده يكون .. لا يأخذ منه الأمر قولا .. فإنما أمره بين الحرفين الكاف والنون .. مشيئته هى ما تم وأمره ما يكون ...

فالذرة بتكوينها ، والسماوات بما تحويها ، والأراضى وما تطويها ، وأجسامنا بكل ما فيها . إنما فى طاعة تامة لله .. والعواصف وقيامها .. والرياح وهبوبها .. والأمطار وهطولها .. إنما هى من مظاهر طاعة الأشياء لله .. فكيف .. كيف يحاول الإنسان أن يخرج على هذا الوجود .. فلايطيع الله .. ؟ .

وهل يمكن والأمر هكذا .. أن يكتب أى قلم عن الطاعة ما تستحق ؟ .. بل هل لو اجتمعت أقلام العباد طوال الحياة لتبين وجوب الطاعة .. أتستطيع بعد أن عرفنا أن بالطاعة قامت السماوات والأرض .. وبها تقوم .. وأن بالطاعة وجدت الحياة .. وإن بها تظل إلى الوقت المعلوم ..

فلتكن هذه تبصرة .. بل لا أكثر من تذكرة ..

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

إن الله موجود .. يسمع ويرى .. وهو فوق ما نظن وأكبر مما نتخيل .. وأعظم مما نتصور .. إنه وليس كمثله شيء .. أنه الله .. ولا إله إلا الله ..

والإنسان .. كل إنسان إنما يسير بسرعة .. وبسرعة بالغة إلى حياته الثانية .. لامفر من ذلك .. وهو فى حياته هذه يحاول أن ينسى هذه الحقيقة .. لأنه يخشى الموت .. يخشاه لأنه يحب الحياة .. ولذلك يندفع بكل طاقته نحو تعمير حياته والأخذ بما يستطيعه من لذائذها .. وفجأة ينتهى العمر المقدور .. ويتم الأمر المسطور .. وإذ بآخرته خراب .. فلم يقم لها أى وزن .. ولم يعمل من أجلها أى حساب .

فهل لو آمن الإنسان أن ما وراء الموت إنما هى الحياة الحقة . . وأن الإنسان ينتقل بالموت من حياة معدودة أيامها إلى أخرى غير محدودة . . هل يخشى الموت ؟ .. وبالتالى ألا يعمل لحياته الثانية الباقية أكثر مما يعمل لحياته الأولى الفانية ؟ ..

ولو آمن الإنسان أن كل قول .. لفظ به اللسان .. وكل عمل أتاه .. إنما سجل على صاحبه فى لوحة القضاء .. وسيعيش الإنسان فى ظل هذا القول والعمل يسمعه ويراه إلى يوم

الجزاء .. يوم يجتمع الناس منذ خلق الله الخلق .. إلى أن طويت السماوات والأرض .. فيحاسب على ما قال وفعل حساباً عسيراً .. لا أنساب .. ولا جدال .. ولاجاه يشفع .. ولا ولد ولا مال .. إنما هو حكم عدل لا إله إلاالله .. خير الحاكمين .. وقول حق .. سبحانه الله .. رب العالمين.. ألا يتدبر الإنسان حاله .. ويستغفر الله على ما سبق من أقواله .. ويندم على ما مضى من أفعاله .. ويجعل حياته وسيلة سعادته بعد مماته .. ؟ .. وما من سبيل إلى ذلك .. إلا بطاعة الله ..

فيا ترى متى نستجيب لداعى الله ؟ ..

غداً ؟ .. وهل يطمئن الإنسان إلى غده .. بل هل يضمن الإنسان يومه ؟ ..

اليوم .. إذاً .. وهل يعرف متى يحين الحين ؟ ..

فلتكن لحظتنا هذه .. لحظة التوقف والتفكر .. والتأمل والتدبر .. فلا تدرى نفس أتعود لحظة أخرى .. أم ترى تكون هذه اللحظة هى القاضية ..

ولينظر الإنسان منا ماقدمت يداه فى الأيام الماضيات .. وليستغفر الله عما ارتكب فى السابقات . وليعاهد ربه على

الطاعة إلى يوم الممات .. ليكون مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. طوبى لهم .. فهم فى نعيم بعد الموت .. وجزاؤهم فى الآخرة رفيع الدرجات ...

* * *

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

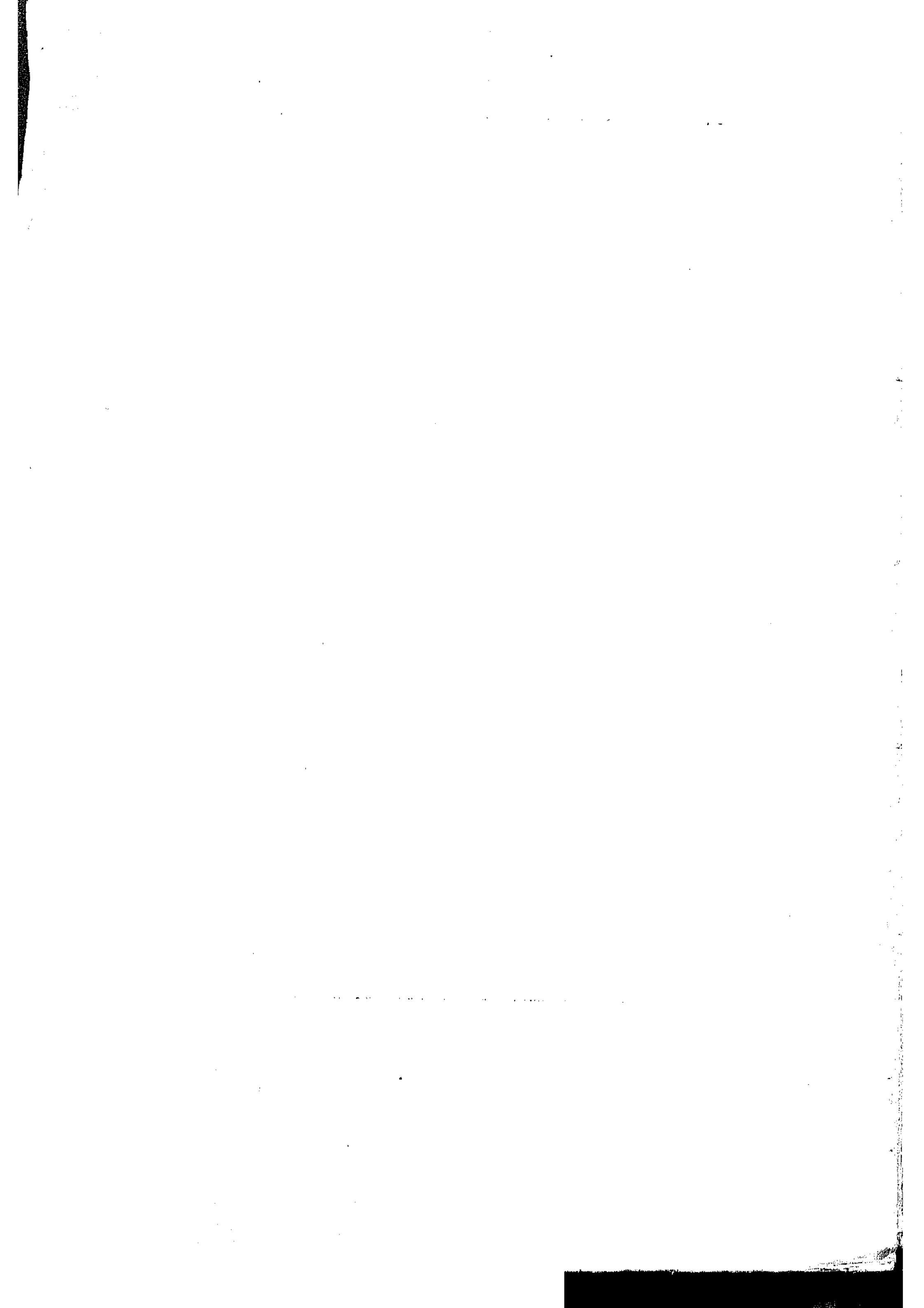
مراجع الكتاب

إحياء علوم الدين	للإمام الغزالى
الروح	للإمام ابن القيم
رسالة التوحيد	للإمام محمد عبده
فتوى شرعية فى مأتم الأربعين	فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف
سبل السعادة فى فلسفة الأخلاق الدينية	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى
وحى الموت	للأستاذ محمود على قراعه
محاورات أفلاطون	تعريب الدكتور زكى نجيب محمود
حياة محمد	للدكتور محمد حسين هيكل
العلاج الروحى	الدكتور ادوين فردريك باورز
على حافة العالم الأثيرى	أرثر فندلاى

العلم الروحى الحديث فى الجامعات	تقرير للأستاذ أحمد فهمى أبو الخير
الإنسان هذا المجهول	الدكتور الكسيس كاريل
النجوم فى مسالكها	سير جيمس جينز ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى
الكون الغامض	سير جيمس جيز ترجمة الأستاذ عبد الحميد حمدى مرسى
نور الإيمان	للأستاج منير خضير
أسلحة الحيوان	للدكتور منير كامل
علم النبات	الأستاذ محمد عزوز
الزراعة	واطسون دمور
المختصر فى العلوم	الدكتور ر.س. ويلوز

وغير ذلك من المراجع التى أشير إليها فى الكتاب.

القـــاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٢



للمؤلف

الله والعلم الحديث	(مكتبة مصر)
الإسلام والعلم الحديث	(مؤسسة المطبوعات الحديثة)
القرآن والعلم الحديث	(مؤسسة المطبوعات الحديثة)
المسلمون والعلم الحديث	(مؤسسة المطبوعات الحديثة)
الإسلام دين ودنيا	(مؤسسة المطبوعات الحديثة)
الصلاة	(المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)
محمد رسولا نبيا	(مؤسسة المطبوعات الحديثة)
الزكاة	(المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)
طريق إلى الله	(مؤسسة الخانجي)